موسوعة الزواج الإسلامي

العزوبة والانحلال الخلقي

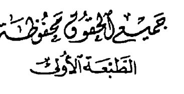
حوارية بمنظار الواقع

السيد محسن النوري الموسوي



دار الهادي





١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ISBN- 9953-484-86-4



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الإهداء

إلى سيدي ومولاي مؤسس الحركة الثورية في عراق الإسلام الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر(الشهيد الأول) رضوان الله عليه.
أقدم هذا المجهود راجيا القبول والشفاعة.

محسن النوري الموسوي



المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُشْهِدْ أَحَداً حِينَ فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ، وَلا اتَّخَذَ مُعِيناً حِينَ بَرَأَ النَّسَمَاتِ، لَمْ يُشَارَكْ فِي الإلهِيةِ، وَلَمْ يُظَاهَرْ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ، كَلَّتِ الأَلْسُنُ عَنْ غَايَةِ صِفَتِهِ، وَالْعُقُولُ عَنْ كُنهِ مَعْرِفَتِهِ، وَتَوَاضَعَتِ الْجَبابِرَةُ لِهَيْبَتِهِ، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِخَشْيَتِهِ، وَانْقَادَ كُلُّ عَظِيم لِعَظَمَتِهِ. فَلَكَ الْحَمْدُ مُتَواتِراً مُتَّسِقاً وَمُتَوالِياً مُسْتَوْسِقاً وَصَلَوَاتُهُ عَلَى رَسُولِهِ أَبَداً، وَسَلامُهُ دَائِماً سَرْمَداً.

وبعد: فهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي هو أحد كتب موسوعة الزواج الإسلامي وفيه معالجة لمسألة العزوبة، وقد أعديناه بشكل ممتع ونقلنا من أفكار الكتّاب الكرام ما هو نافع ومفيد ومختصر في الوقت نفسه.

عسى الله أن يهدي به شبابنا المؤمن ويخرجهم من ظلمات الدنيا إلى نورها الذي يضمن لهم به الآخرة.

وهذا الكتاب عبارة عن تمهيد بيَّنا به بعض الأمور

كاستحباب الزواج وكراهية العزوبة وتبتل النساء غير الشرعي والآثار السلبية للعزوبة وما إلى ذلك.

وأيضاً الفصل الأول الذي يبين أولى مساوئ العزوبة ألا وهو الاستمناء أو ما يسمى بالعادة السرية. ويعالج تلك المسألة بشكل ممتع بعد ذكر حواريات بصدد الموضوع تجذب القارئ لمعرفة ما في آخرها بعد قراءة أولها.

والفصل الثاني يبحث في مسألة الزنى الذي هو نتيجة من نتائج العزوبة، وما له من آثار اجتماعية وصحية سيئة للغاية.

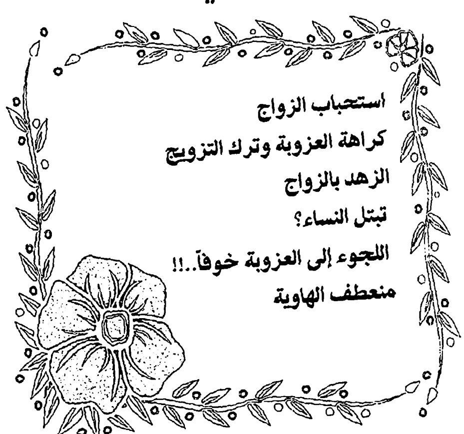
وهناك بطبيعة الحال أمور أخرى تولدها العزوبة عند الفرد لم نذكر تفاصيل عنها بعد ذكرها في كتب إخرى، ومن ذلك النظر إلى النساء والاختلاط وما إلى ذلك.

هذا وهناك في مسك الختام بعض المسائل الشرعية التي تخص العادة السرية من خلالها نتعرف على الحكم الشرعي والتكليف الصحيح حيال هذه العادة المقيتة.

نسأل الله أن يتقبل إعداد هذا الكتاب منا ويجزنا عليه من حياض رحمته وبحار جوده وكرمه.

محسن النوري الموسوي
شهر مضان المبارك/ ١٤٢٦

تمهيد:



استحباب الزواج

كراهة العزوبة وترك التزويج

الزهد بالزواج

تبتل النساء؟

اللجوء إلى العزوبة خوفاً..!!

منعطف الهاوية

(١)

استحباب الزواج

ذكرنا في بعض كتبنا في هذه الموسوعة على أنه من المؤكد في الشريعة الإسلامية أن الزواج مستحب وقد أكد عليه القرآن الكريم في آياته البينات، والسنة الشريفة في حديث الرسول الكريم وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين. والآن نذكر طرفاً منيراً من هذه الروايات المباركة.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ:

تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ غَداً فِي الْقِيَامَةِ حَتَّى إِنَّ السِّقْطَ يَجِيءُ مُحْبَنْطِئاً عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ لاَ حَتَّى يَدْخُلَ أَبَوَايَ الْجَنَّةَ قَبْلِي....

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

مَا يَمْنَعُ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَتَّخِذَ أَهْلاً لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُهُ نَسَمَةً تُثْقِلُ الْأَرْضَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ...

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

مَا بُنِيَ بِنَاءٌ فِي الْإِسْلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنَ التَّزْوِيجِ...

وَفِي الْخِصَالِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام فِي حَدِيثِ الْأَرْبَعِمِائَةِ قَالَ:

تَزَوَّجُوا فَإِنَّ التَّزْوِيجَ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَتَّبِعَ سُنَّتِي فَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي التَّزْوِيجَ وَ اطْلُبُوا الْوَلَدَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ غَداً وَ تَوَقَّوْا عَلَى أَوْلَادِكُمْ مِنْ لَبَنِ الْبَغِيِّ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْمَجْنُونَةِ فَإِنَّ اللَّبَنَ يُعْدِي...

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

لَمَّا لَقِيَ يُوسُفُ عليه السلام أَخَاهُ قَالَ يَا أَخِي كَيْفَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَزَوَّجَ النِّسَاءَ بَعْدِي فَقَالَ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي فَقَالَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ لَكَ ذُرِّيَّةٌ تُثْقِلُ الْأَرْضَ بِالتَّسْبِيحِ فَافْعَلْ..

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

تَزَوَّجُوا وَزَوِّجُوا أَلَا فَمِنْ حَظِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِنْفَاقُ قِيمَةِ أَيِّمَةٍ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْتٍ يَعْمُرُ فِي الْإِسْلَامِ بِالنِّكَاحِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْتٍ يَخْرَبُ فِي الْإِسْلَامِ بِالْفُرْقَةِ يَعْنِي الطَّلَاقَ...

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:

إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ إنَّمَا وَكَّدَ فِي الطَّلاَقِ وَكَرَّرَ فِيهِ الْقَوْلَ مِنْ بُغْضِهِ الْفُرْقَةَ..

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

مَنْ تَزَوَّجَ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ..

قَالَ الْكُلَيْنِيُّ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الآخَرِ أَوِ الْبَاقِي.

وفِي الْمُقْنِعَةِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ طَاهِراً مُطَهَّراً فَلْيَلْقَهُ بِزَوْجَةٍ[1]...

---

(١) الروايات من كتاب وسائل الشيعة، كتاب النكاح.

كراهة العزوبة وترك التزويج

هذا وقد قلنا هناك في بعض كتب الموسوعة أنه رويت روايات تؤكد على كراهية العزوبة وترك الزواج ومنها:

عَنِ ابْنِ الْقَدَّاحِ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:

رَكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا الْمُتَزَوِّجُ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً يُصَلِّيهَا أَعْزَبُ..

وَزَادَ وَقَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله:

رَكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا مُتَزَوِّجٌ أَفْضَلُ مِنْ رَجُلٍ عَزَبٍ يَقُومُ لَيْلَهُ وَ يَصُومُ نَهَارَه.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

رُذَّالُ مَوْتَاكُمُ الْعُزَّابُ..

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عليه السلام فَقَالَ لَهُ:

هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجَةٍ؟

قَالَ: لاَ.

فَقَالَ أَبِي:

مَا أُحِبُّ أَنْ لِيَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا وَإِنِّي بِتُّ لَيْلَةً وَ لَيْسَتْ لِي زَوْجَةٌ...

ثُمَّ قَالَ:

الرَّكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا رَجُلٌ مُتَزَوِّجٌ أَفْضَلُ مِنْ رَجُلٍ أَعْزَبَ يَقُومُ لَيْلَهُ وَيَصُومُ نَهَارَهُ ثُمَّ أَعْطَاهُ أَبِي سَبْعَةَ دَنَانِيرَ..

ثُمَّ قَالَ: تَزَوَّجْ بِهَذِهِ..

ثُمَّ قَالَ أَبِي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

اتَّخِذُوا الأَهْلَ فَإِنَّهُ أَرْزَقُ لَكُمْ.

وفي حديث زَادَ:

مَا أَفَادَ عَبْدٌ فَائِدَةً خَيْراً مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ إِذَا رَآهَا سَرَّتْهُ وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ[1].

---

(١) المصدر السابق.

(٣)

الزهد بالزواج

الزهد بالنكاح ليس بمستحب وليس بفضل يسعى إليه الإنسان، ولو كان فضلاً لكان أولى بتطبيقه الرسول الأعظم وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، بل نرى العكس هو الصحيح حيث تزوج النبي وجعل من سنته التزويج وكذا الأئمة الأطهار وأولادهم وأصحابهم وقد نهى الرسول الأعظمﷺ - كما سنسمع - من العزوبة أو الزهد بالنكاح وأكد - كما سمعنا - على الزواج.

روي عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أنه قَالَ:

إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ كَانُوا حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ وَالْإِفْطَارَ بِالنَّهَارِ وَالنَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَأَخْبَرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَسُولَ اللَّهِﷺ فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ:

أَتَرْغَبُونَ عَنِ النِّسَاءِ إِنِّي آتِي النِّسَاءَ وَآكُلُ بِالنَّهَارِ وَأَنَامُ بِاللَّيْلِ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي وَأَنْزَلَ اللَّهُ:

﴿لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ

لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ . .

فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا قَدْ حَلَفْنَا عَلَى ذَلِكَ؟!

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمانِكُمْ﴾** - إِلَى قَوْلِهِ - **﴿ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيمانَكُمْ﴾** . .

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله . .

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عُثْمَانَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ!.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُغْضَباً يَحْمِلُ نَعْلَيْهِ حَتَّى جَاءَ إِلَى عُثْمَانَ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي فَانْصَرَفَ عُثْمَانُ حِينَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله .

فَقَالَ لَهُ:

يَا عُثْمَانُ لَمْ يُرْسِلْنِي اللَّهُ بِالرَّهْبَانِيَّةِ وَلَكِنْ بَعَثَنِي بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ أَصُومُ وَأُصَلِّي وَأَلْمِسُ أَهْلِي فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي وَ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحُ.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

إِنَّ ثَلاثَ نِسْوَةٍ أَتَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله .

فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: إِنَّ زَوْجِي لاَ يَأْكُلُ اللَّحْمَ. !

وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّ زَوْجِي لاَ يَشُمُّ الطِّيبَ. !

وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّ زَوْجِي لاَ يَقْرَبُ النِّسَاءَ. !

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

مَا بَالُ أَقْوَامٍ مِنْ أَصْحَابِي لاَ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَلاَ يَشُمُّونَ الطِّيبَ وَلاَ يَأْتُونَ النِّسَاءَ أَمَا إِنِّي آكُلُ اللَّحْمَ وَأَشُمُّ الطِّيبَ وَآتِي النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي وَ إِنَّ مِنْ سُنَّتِيَ النِّكَاحَ.

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ جُمُعَةٍ:

هَلْ صُمْتَ الْيَوْمَ؟

قَالَ: لاَ..

قَالَ: فَهَلْ تصدَّقْتَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ؟

قَالَ: لاَ..

قَالَ لَهُ: قُمْ فَأَصِبْ مِنْ أَهْلِكَ فَإِنَّهُ مِنْكَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا.

تبتل النساء؟

والشيء الآخر الذي هو غير صحيح مهما كانت الأسباب والدوافع من ورائه هو تبتل النساء أي امتناعهن عن الزواج.

وهذا ما أكد عليه الأئمة الأطهارعليهم السلام في رواياتهم الشريفة.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله النِّسَاءَ أَنْ يَتَبَتَّلْنَ وَ يُعَطِّلْنَ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ.

عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام..

فَقَالَتْ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنِّي امْرَأَةٌ مُتَبَتِّلَةٌ.!

فَقَالَ: وَمَا التَّبَتُّلُ عِنْدَكِ؟

قَالَتْ: لاَ أَتَزَوَّجُ.!

قَالَ: وَلِمَ؟

قَالَتْ: أَلْتَمِسُ بِذَلِكَ الْفَضْلَ. !

فَقَالَ: انْصَرِفِي فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فَضْلاً لَكَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام أَحَقَّ بِهِ مِنْكِ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَسْبِقُهَا إِلَى الْفَضْلِ.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَسَأَلَتْهُ عَنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ فَخَبَّرَهَا. .

ثُمَّ قَالَتْ: فَمَا حَقُّهَا عَلَيْهِ.

قَالَ: يَكْسُوهَا مِنَ الْعُرْيِ وَيُطْعِمُهَا مِنَ الْجُوعِ وَإِذَا أَذْنَبَتْ غَفَرَ لَهَا.

قَالَتْ: فَلَيْسَ لَهَا عَلَيْهِ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا؟!

قَالَ: لاَ. .

قَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ لاَ تَزَوَّجْتُ أَبَداً ثُمَّ وَلَّتْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: ارْجِعِي فَرَجَعَتْ.

فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾.

(٥)

اللجوء إلى العزوبة خوفاً..!!

يلجأ بعض الأفراد ممن قلت معرفته أو قل إيمانه إلى العزوبة خوفاً من أمور منها:

١ـ خوف المعيشة. . . وهذا أحد الأمور المهمة الذي يحول بين الفرد والزواج.

نعم يفكر الفرد بالمعيشة وكيفية استطاعته تأمين طلبات الزواج وقوت أفراد الأسرة، فهذا التفكير يصرفه من نية الإقدام على الزواج إلى الإقدام على العزوبة.

وهذا بحد ذاته يكشف عن أمرين كما عرفنا في نفس الفرد قلة معرفته وقلة إيمانه بالله تعالى ومن الطبيعي إذا اجتمعا قلة التفكير وقلة الإيمان عند الإنسان ينظر إلى الأمور على أنها خارج إرادة الله سبحانه والعياذ بالله.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ فَقَدْ أَسَاءَ بِاللَّهِ الظَّنَّ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ فَقَدْ سَاءَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

٢ـ خوف المسؤولية.. البعض وإن كان عنده الأموال التي يمكنه من خلالها فتح البيت الزوجي إلا أنه ضعيف أمام المسؤولية، فهو لا يقدر على تحمل الزوجة ومسؤولياتها ولا الأولاد وتربيتهم ولا إدارة البيت بصورة عامة.

٣ـ خوف الفشل في الحياة الزوجية.

إلى غير ذلك.

(٦)

منعطف الهاوية

نتيجة الابتعاد عن منهج السماء وتوجه المجتمعات بكل ثقلها نحو الفساد والانحلال انقلبت الموازين والمقاييس حتى صار بعض علماء الأخلاق في أوروبا (إذا صح التعبير) يعدون الزنى وإشباع الغرائز عن أي طريق شيئاً عادياً ويرون أن يترك العنان للشباب ليلبوا متطلبات شهواتهم.

وبهذا الترف والانحلال أصبحوا يتفاخرون في ندواتهم وصحفهم ومجلاتهم، ولقد كانت هذه الأسباب هي التي أرجع إليها المؤرخون انهيار المدنية الرومانية (الروحية) وستلحقها المدنية الغربية المتحللة بإذن الله تعالى.

فعلى الرغم من أن منجزات المدنية الحديثة قد أزالت الكثير من المتاعب والصعوبات، ووفرت الكثير من وسائل الراحة والترف. يبقى غياب الحضارة الإنسانية الصالحة عن عالم اليوم ألا وهي سنن الكون وشريعة السماء التي نادى بها الأنبياء والمرسلون والمجاهدون، لأن ابتعاد الإنسانية عن خط السماء

الذي رسم لهم حصل لهم ما حصل من العلل الكثيرة والمشاكل الكبيرة والمشاغل والهموم التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

وكانت سبباً لمعظم ظواهر القلق والتمزق فشاع في المجتمع المعاصر الإدمان على المسكرات بين الكبار والصغار، وشاع تعاطي المخدرات بين الشابات والشباب من طلبة الجامعات وتلاميذ المدارس الثانوية، وأصبح هذا وذاك مشكلة اجتماعية خطيرة في البلاد التي تتمتع بالرخاء الاقتصادي كأميركا ودول أوروبا وشاع الشذوذ الجنسي بين البالغين وانتشر الاتجار بعري أجسام النساء، وشاع الزنى بين المتزوجين والمتزوجات، كما شاعت المعاشرة الجنسية قبل الزواج بين الشباب والشابات في سن مبكرة وفي مرحلة من أخطر المراحل ألا وهي المراهقة التي نحن بصددها، وأصبح ذلك عرفاً في المجتمعات الصناعية في أميركا وروسيا وأوروبا.

إن مأساة مجتمع تصطدم العدالة فيه بصخور الأعراض والشهوات والاستسلام للأهواء، ونزعات الشهوات الشريرة، ويبدو أخيراً أن الخير والعدل من اللمحات الخاطفة لدى النفوس المترددة بين الخير بوصفه أملاً بعيداً، والشر بوصفه واقعاً يستدر إسفاف الميول فيشبع رغباتها الدنيئة.

ثم تستمر الحياة وكأن هذا الإنذار قد ضاعت أصداؤه الحارة في مسامع شرذمة من المستهترين والمتغطرسين الأنانيين

فحتماً ستكون الخاتمة الدمار والانهيار أمام عاصفة المفاسد الجارفة، وها هو ناقوس الخطر يدق منذراً بدمار العالم.

هٰذه بعض نتائج الابتعاد عن خط السماء، وستنتهي مدنيتهم وحضارتهم المزعومة الزائفة عن قريب بإذن الله تعالى كما انتهت حضارات وأمم سبقتنا كما يقول القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾[آل عمران: ١٣٧].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

وبعد هذا يؤكد أن العالم عاجلاً أو آجلاً لا بد وأن يخضع لتعاليم السماء وهي تعاليم الإسلام الحنيف ويأخذ بها كبديل للحضارة والمدنية التي أذاقته البأساء والضراء...

وإن هذا اليوم لآتٍ عن قريب بإذن الله تعالى. لأن نتائج التجربة، وصرخات الاستغاثة من الفلاسفة والمفكرين والعلماء لخير دليل على فشل ما يسمى بالحضارة وعدم قدرتهم على منح الإنسان ما كان يرجوه منها.

وهذا مشهد آخر يبين لنا عن مدى ما حدث للأمم التي ابتعدت عن خط السماء وما سيلحقه بالقادمين إذا ساروا على نفس المسار.

يقول الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٨-٤٠].

إن القرآن الكريم يصور لنا ويبين لنا عن الحياة التي يحياها المفسدون في الأرض وما جرى عليهم وما سيجري كي يوضح لنا عن مدى العبر من خلال قصصهم.

فأي مجتمع يؤمن بآلهة غير الله تعالى سواء كانت هذه الآلهة أصناماً أو طواغيت فهو مجتمع منهار متدمر ساقط.

وهذه أقوام نوح وهود وصالح وشعيب يصورها لنا القرآن الكريم في هذا المشهد الرائع من سورة الشعراء حيث يقول سبحانه: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٥٩]. صدق الله العظيم[١]

---

(١) كتاب المراهقة بين المشكلة والحل.

الفصل الأول:



تولد العادة السيئة المقيتة (الاستمناء)

عامل من العوامل التي تساعد على السقوط والانهيار إلى ناحية التحلل، كما وأنها تعصف بصاحبها نحو هاوية الدمار نتيجة التفكير الخاطئ، ومجرى الخيال، وانصهار وذوبان النفس فيما تشتهيه وتطلب تؤدي إلى تلبية الحاجات التي عادة ما تكون نتائجها وخيمة على فاعلها لأنها بعيدة عن عرف القيم، وميزان العقيدة التي تمثل الوازع الداخلي الذي يحاسب ويراقب كل مجريات الوجدان وما يقوم به من أمور علنية أو سرية.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول إن محاسبة النفس، في كل أفعالها واجب شرعي لحفظها من السقوط والانحراف. كما أنها بحاجة ماسة لتنمية الوازع الديني الداخلي وتقوية الرقيب كي يحفظ النفس ويحميها من التلوث والفساد.

والعادة السرية أو الاستمناء هي تصريف الطاقة الجنسية عن طريق مداعبة الأعضاء التناسلية، وهذه العادة يلجأ إليها

المراهقون، ذكوراً وإناثاً في بداية نضجهم الجنسي في حالة انعدام التربية والتوجيه السليمين، خاصة ممن يصرفون طاقاتهم وأفكارهم في أشياء محرمة أو لعدم تيسير الشريك (الشرعي).

وعندها تكوّن عادة دائمة إلى أن تصل إلى الشذوذ والإفراط لسهولة أجوائها لأنها تتم غالباً في الخفاء والسرية.

ولربما تنحصر مسببات وأسباب تجعل المراهق يقوم بتأديبها من ضمنها، البيئة التي هي أشد بلاء على من يعيش فيها فكل مجتمع تسوده هذه العادات تنتشر الأفكار الرذيلة فيه وتصبح بؤرة من بؤر الفساد الخلقي.

وكذلك المعلومات الخاطئة التي تتسرب لبعض المراهقين تجعلهم يفتقرون لما يتعلق بمرحلتهم كما يكونون متعطشين لتفسير تلك العلاقات الجنسية فعندها يتعثرون بالتخبط الأعمى[١].

والآن نذكر حواريات من الكتاب الذي طبعناه في مركزنا مؤخراً تحت عنوان شباب في مقبرة الجنس وهو كتاب يعالج قضية العادة السرية المقيتة بشكل ممتع وهادف جزى الله كاتبه الخير والبركات[٢].

---

(١) كتاب المراهقة بين المشكلة والحل.

(٢) مع بعض التغييرات المناسبة.

الحوارية الأولى

ذهب سعيد برفقة أخيه شهيد إلى بيت صديقه فاهم، لقد كان سعيد قلقاً جداً من هذا اللقاء وكانت ملامح الارتباك واضحة على وجهه ولم يستقم كلامه مع هؤلاء الأصدقاء، ولكنهم كانوا يشعرون بهذا الأمر ويحاولون أن يتظاهروا بعدم شعورهم بهذا الارتباك الذي يعتريه، فهم يسعون أن يحتووا أفكاره وسلوكه ويصححون آراءه ووجهات نظره المجانبة للصواب.

الشيخ: أهلاً بسعيد وشهيد، أين أنت يا سعيد، ولماذا لم نرك هذه المدة؟

سعيد: مشاغل الحياة كثيرة يا شيخ.

فاهم: الله يكون في عونك، فلا تخشى شيئاً ما دمنا معك فنحن هنا إخوانك وهذا جناب الشيخ والدكتور مستعدان لبذل المساعدة في مشروعك الإنساني- مشاكل الجنس عند الشباب.

الشيخ والدكتور: نحن بالخدمة، وسنبذل العون لسعيد ولكل شاب مؤمن يعمل بإخلاص لنشر الإصلاح وإيصال صوت الإسلام.

سعيد: (وهو يتصبب عرقاً): أشكركما.

لقد شعر الجميع بالارتياح وهم يتناولون الأطعمة الطيبة من مائدة صديقهم فاهم، بينما كان سعيد في حالة ذعر وخجل وقلق مما سيقال أو يطرح في المناقشة بعد وجبة العشاء، فهو يراقب كل حركاته وسكناته وحاله تماماً كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام ((يكاد المريب يقول خذوني)) وهنا يبادر شهيد ليفتح باب الحوار.

شهيد: لماذا ينظر الإسلام بدقة وحذر شديدين إلى قضية الغريزة الجنسية، بينما نجد تساهلاً منقطع النظير من قبل الغرب لهذه القضية، يحرصون على إباحتها وانتشارها؟

فاهم: إن الغرب دائماً يسيرون نحو الإفراط والتفريط كان القدماء منهم يعتبرون العلاقة الجنسية - الزواج - علاقة تدعو إلى الضياع والانحطاط، وهي خبيثة ذاتاً، وقد مالت الكنيسة إلى هذه الأفكار حينما دعت إلى التبتل والعزوبة، مستدلة ـ خطأً ـ على خبث العلاقة بالمرأة بإعراض السيد المسيح عن الزواج، فقد كان الرأي السائد عندهم أن الزواج يحمل طبيعة دنيئة تدعو إلى السفال، حتى قال (سن جروم): (اقلعوا بالفأس شجرة الزواج)، فهذا هو عين التفريط فيما يخص نظرتهم إلى العلاقة

الجنسية، نظرة ملؤها الشؤم والانتقاص والاحتقار.....

شهيد: ونظرة الإفراط التي يحملونها تجاه العلاقات الجنسية ماذا كانت يا فاهم؟

فاهم: لقد استحدث العالم الغربي نظرة جديدة مال فيها إلى الجهة الأخرى المعاكسة تماماً (الإفراط) فقد ذوبوا الإنسانية، أو صهروا الروابط الخلقية وميعوا المفاهيم القدسية كالأبوة والأمومة والرابطة الزوجية والغيرة والمروءة في آتون[١] الجنس الذي أضرموا فيه النار من خلال دعوة الإباحة التي نادوا بها من غير قيد أو شرط.

شهيد: ولكن لماذا يطلقون العنان للغريزة الجنسية بهذا الشكل الفاضح؟

فاهم: إنهم أرادوا أن يصلحوا تفكيرهم القديم، ويخلعوا منه الثياب البالية والتي كانت تحيط بفكرة الزواج والمرأة والعلاقة معها، ثم جاؤوا بثياب جديدة وتحت دعوى حرية المرأة ونبذ القيم الدينية التي كانت تؤمن بها الكنيسة، فصاروا أمام دعوى جديدة

---

(١) الآتون: التنور.

يتزعمها ((برتلاند راسل وفرويد وغيرهم)) وهي تؤكد على الإباحة الجنسية والانفتاح التام في العلاقات الجنسية وعدم الكبت الجنسي في كل زمان ومكان[1]!!

الدكتور: كل ما يقوله فاهم صحيح، فقد جوزوا للمرأة أن تتخذ ما شاءت من الأخلاء!! ولها أن تتنعم في أحضان العشاق بعيداً عن الزوج،بشرط أن لا تنجب طفلاً إلا من زوجها، لكي يطمئن الزوج ببنوة الطفل وعدم إلصاقه بطفل من غيره، والأمر لديهم سهل ويسير في حق الباكر فلها أن تزني بشرط عدم الإنجاب ولهذا السبب صارت حبوب منع الحمل مادة أساسية لا تفارق حقائب الطالبات!!!

الشيخ: أحسنت يا دكتور، إنهم يعتبرون أمر البكارة شيئاً هامشياً لا قدسية ولا أهمية له فتمزيق البكارة ليس عيباً ما دامت راضية!! وافتضاضه ليس حراماً ما دامت غير مكرهة!!

شهيد: والإسلام كيف ينظر إلى العلاقة الجنسية والمرأة يا شيخ؟

الشيخ: إن العلاقة التي تنشأ في الحياة الزوجية هي علاقة

---

(١) الضوابط الخلقية للسلوك الجنسي للشيخ مرتضى مطهري ص١٩.

لها من الأهمية والقدسية ما جعلها آية تدل على وجود الله، وهذا واضح فكلنا نحفظ قوله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، أما مكانة المرأة فهذا ما طفحت به الروايات الكثيرة، فهذا نبينا الكريم ﷺ يخبرنا عن نظرة الإحترام للمرأة قائلاً: ((**من أخلاق الأنبياء حب النساء**)) و((**الجنة تحت أقدام الأمهات**)).

ويقنن الإسلام العلاقات الجنسية، فيصف المؤمنين بأنهم من يمارسون العلاقة الجنسية في وسط المحيط الزوجي الهانئ دون غيره ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ. . . . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

وعدم وجود اللوم والتقريع المنبعث من الفطرة الصافية مسألة وجدانية يمسها ويشعر بها الزوجان بصورة واضحة كالشمس في رائعة النهار، وهذا بخلاف العلاقات غير المشروعة فإنها علاقات تحمل في طياتها الشعور بالضياع والخروج عن الفطرة والناموس.

وهنا يحاول سعيد أن يلج في حلبة النقاش.

سعيد: ولكن الغرب حينما أطلق العنان للعلاقات الجنسية خارج محيط العائلة كان يهدف من ذلك التخلص من مسألة الكبت الجنسي، فمتى ما مارس الإنسان

قواه الجنسية التي أودعها الله فيه بصورة طبيعية فإن ذلك يجعله فرداً سوياً في المجتمع، ويصبح في راحة من الإضطرابات والعقد التي تحدث نتيجة عدم صرف هذه الطاقة وبالتالي فالحرية في المجال الجنسي يتبعها أمن ورخاء المجتمع ككل.

وهنا يطأطئ شهيد برأسه خجلاً من استماعه لكلمات أخيه الفارغة ويرى الشيخ هادي حالة الانكسار التي يعيشها شهيد بسبب أفكار أخيه الزائفة، فيبادر لإحتواء الموقف.

الشيخ: أنا متأكد يا سعيد بأن هذه الأفكار لم تخامر قلبك يوماً ولكنك تنقلها لنا طلباً لردها ودحضها، وبيان حكم الشرع فيها ومن باب المناقشة ليس إلا، أليس كذلك؟

سعيد: (بتلكؤ)...: ها...نعم، نعم يا شيخ.

الشيخ: سأنقل لك كلمة لأحد مفكري الإسلام يقول فيها:

((لو أراد شخصان وتحت عنوان الزوج والزوجة إقامة حياة مشتركة بينهما محفوفة بالسعادة والبهجة ومليئة بمتع الحياة وملذاتها، هل الأفضل لهما أن يقيما حياتهما العائلية على أساس أنها وسيلة لنيل السعادة والمتعة الجنسية، وأن يبذلا أكثر وقتهما لجعل هذه الحياة أكثر سعادة بعيداً عن المجتمع الكبير ومشاكله ومشاغله أم الأحسن هو نقل الملاذ

والمتع الجنسية إلى خارج محيط العائلة إلى المجتمع الكبير، الأزقة والشوارع والدوائر والنوادي ومراكز التسلية العامة وتهيئة هذه المراكز لتكون مقراً لنيل كل المتع الجنسية على مختلف أنواعها)).

سعيد: الأمر الأول أفضل بكل تأكيد.

الشيخ: أحسنت يا سعيد، فإن فطرتك الصادقة هي التي حكمت، فهذا المفكر نفسه ينقل لنا اختيار الإسلام في هذه القضية فيقول: ((أما الإسلام فقد أوصى بالطريقة الأولى وشدد على ضرورة توفر الاستعداد التام في المحيط العائلي لدى الزوج والزوجة لإشباع رغبة أحدهما الآخر من المتعة الجنسية كما أنه لام وبعنف كل تقصير من أي من الزوجين في هذا المجال وأصرّ الإسلام أن يكون المجتمع الكبير محيطاً للعمل والكسب والنشاط وبعيداً عن أي نوع من الممارسات الجنسية. وهذه هي فلسفة حرمة النظر والتمتع الجنسي والمداعبة مع غير الزوجة كما أنه في الوقت نفسه يشكل فلسفة تحريم تزين الزوجة وتبرجها أمام غير زوجها)). . . .

شهيد: ثم إن هذه البلاد الغربية بعد أن اختارت الأمر الثاني أصبحت في غصّة من أمرها ولوعة وحيرة كبيرة حتى تعالت صرخات مفكري الغرب حزناً على إهدار الطاقات الشبابية في بلادهم حتى صار العار

والخزي في مجتمعاتهم يشار له بالبنان، فأي عار وخزي أشد من هذه النتيجة ((**شاب يموت حتف جنسه**))!!

فاهم: أحسنتما. . . أحسنتما. . وهناك أمر آخر أود أن أضيفه إلى كلام جناب الشيخ.

الشيخ: تفضل يا أخي.

فاهم: إن الله سبحانه وتعالى قد أودع رباطاً متيناً بين الزوجين في الحياة الزوجية، مضافاً إلى الروابط الأخرى في العائلة المتمثلة بروابط الأبوة والبنوة، فالمحيط العائلي هو البيئة الصغيرة التي تنمو فيها المشاعر النبيلة والعواطف الإنسانية الجميلة، والتي تمنح الأطفال الرقة والهدوء وسكينة النفس وتزرع في قلوبهم الأمن والمحبة، والذي أريد أن أقوله: هو أن الجو الأسري إذا كان خالياً من النقاء والصفاء والمودّة كيف يستطيع أن يصدر هذه المفاهيم ((**الأمن، الأبوة، البنوة، الأخوة، المودة، الحنان، الشفقة، المروءة، الإيثار. . . .**)) إلى المجتمع الكبير؟.

إن بناء المجتمعات يتم بعد مرحلة بناء الأسس المتينة، أنظروا كيف أن القرآن يحرك فينا المشاعر التي ألفناها وتذوقناها داخل الأسرة لكي يمنحها إلى الأسرة الكبيرة (المجتمع) فيقول: ((**إنما المؤمنون إخوة**)).

الجميع: أحسنت يا فاهم، أحسنت رحم الله والديك.

سعيد: ولكن لا ننسى أن المجتمعات الانسانية في أوروبا - مثلاً - نراها تحظى بالعدالة بصورة أكثر وضوحاً من البلاد الإسلامية والشرقية.

فاهم: لطيف جداً يا سعيد، ولكن هناك خلط في الموضوع، فإذا كان هناك ثمة عدالة فلماذا هذا الامتهان ومصادرة الحرية والكرامة والحقوق من الشعوب الأخرى، واستعمال العنف في حقها بلا رحمة ولا رأفة.

والأمر الآخر يا سعيد هو أننا نتكلم عن العواطف الإنسانية النبيلة التي لا يمكن أن تقتطف إلا في ظل تشريعات الإسلام وهذا أمر واضح فإن المجتمعات الغربية والاوروبية نراها خالية من هذه العواطف الإنسانية فقد نزعت تماماً بين الإخوة والآباء والأبناء خلافاً للشرقيين رغم ما يقال - خطأ - بأن الغربيين أصحاب عدالة! فما هو السبب يا ترى؟

شهيد: ما هو زادك الله فهماً؟

فاهم: إن هذه العواطف لا تنمو إلا في أجواء عائلية مفعمة بالصفاء والإخلاص والمودة، ولما كانت العلاقات الجنسية لديهم لا حدود لها، وكل من الزوج

والزوجة يمارسان العلاقات الجنسية خارج المنزل مع الخليلات والغرباء!!... لما كان الأمر كذلك فإنهم خسروا الحياة الاجتماعية المتينة، فكيف ينتفع المجتمع الكبير من مجموعة الأسر التي يسودها الطابع الخياني للعهود الزوجية، والمواثيق السماوية؟

إنه صرف للقوى الجنسية في غير موضعها الصحيح، وخرق لحدود الله سبحانه وتعالى.

الدكتور: أحسنت يا فاهم، يقول الباحث الاجتماعي كليمانس: ((**لقد علمت مما سبق أن الله أجاز استخدام هذه القوى داخل حدود الزواج، وأن الإستمتاع بما يرافق عملها من لذة روحية وجسمية لأمر صالح لا غبار عليه لأنها متعة يمنحها الله لخلائقه مكافأة نقية صافية. أما استخدام هذه القوى خارج نطاق الزواج فهو خرق لحدود الله وعبث أليم بهذه القوى. لأن الله لم يمنحها إيانا لنتمتع على هوانا دون قيد ولا شرط**))[1].

الشيخ: إن فتح الباب على مصراعيه للحاجات الجنسية ينذر بوقوع الخراب والدمار الشامل لكل أروقة الحياة،

---

(١) العادة السرية لعلي محمد علي دخيل ص٤٢.

وحصول انتكاساتها، وسيادة الظلام الدامس وإجتياحه لمجالاتها كافة.

سعيد: إنكم تصورون الحياة الجنسية على أنها ظلام دامس، ومصدر للخراب، وأفيون للإنسانية مع أنها حاجة بيولوجية أودعها الله في جميع الأفراد.

أخذ الشيخ يخلل أصابعه في لحيته مبتسماً من كلام سعيد.

الشيخ: إن طغيان الحالة الشهوية للفرد يرافقه ضمور في عقله، فالشهوة أشبه ما تكون الجمرة المستعرة في طرف السيجارة، فإننا لو تصورنا خروج ألسنة النار منها فإن هذا يؤذن باحتراق الأصابع التي تحملها ونشوب النار في السيجارة وتلفها وصيرورتها رماداً بخلاف ما لو كانت الحرارة التي فيها هادئة ومنتظمة.

انظر يا سعيد إلى القرآن ـ وعلى لسان يوسف عليه السلام - كيف يصف لنا حالة الاتباع الخاطئ للشهوة والميل المحرم للنساء: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ نعم إنه الجهل يا سعيد هو النتيجة المتحققة من طغيان الشهوة على العقل، والجهل ماذا يا سعيد؟

سعيد: ظلام، لا أنكر ذلك، ولكن البعض يقول بأن

الحاجة إلى الجنس لا تختلف عن الحاجة إلى الغذاء فلماذا هذا التهويل في القضايا الجنسية؟

الدكتور: ما يقولونه هراء وافتراء فالفرق واسع بين هذه الحاجيات من وجوه هي:

١- التغذية عامل مهم في بقاء الشخص وهي (**الحاجة الجنسية**) كذلك عامل مهم في بقاء النوع الإنساني ولكن بطريق غير مباشر، أما الجنس فهو لا دخالة له في ديمومة الحياة الشخصية للفرد، ولكنه يعد العلة في بقاء النوع الإنساني..... فتأمل في هذا الفرق يا سعيد.

٢- إن الدوافع إلى العملية الجنسية يأتي من محفزات خارجية، ولذا يستطيع الإنسان ترك ممارسة الجنس أمداً بعيداً متى ما حافظ على نفسه في عزلها عن المواجهة واللقاء مع المؤثرات الخارجية، أما الحاجة إلى الأكل والماء فهي مسألة يحسها الفرد داخله نتيجة لحاجة خلايا الجسم إليها باستمرار.

٣- النقص الحاصل في توازن الجسم هو الذي يدفع الفرد إلى الأكل والشرب وصولاً إلى حالة الاتزان والاستقرار، بخلاف الحاجة إلى الجنس، فإن إتيان العملية الجنسية هو الذي يفضي إلى

حصول الإخلال بالتوازن الفسيولوجي وإنهاك القوى الجسمية، فالعملية الجنسية لا تؤتى إلا في ظروف التوازن ولا تنتهي إلا بإخلال التوازن.

سعيد: إذاً التوازن في وظائف الأعضاء مع وجود المؤثرات الخارجية يدعو بإلحاح إلى ضرورة صرف الشهوة الجنسية.

الشيخ: يجب الالتفات إلى أن الإسلام كان منتبهاً جداً إلى ضرورة صرف الشهوة الجنسية في محالها الصحيحة وعدم كبتها، ولذا نجد علماؤنا يقولون:

إن الله سبحانه وتعالى مثلما خلق في عالم الماديات كل عضو لفائدة ولغاية مقصودة، وهدف منشود، وبالتالي فلا بد من تغذية هذه الأعضاء الجسمانية والمحافظة عليها، فكذلك الأمر فيما يخص الاستعدادات الفطرية ومنها الجنس، فهي أيضاً تشكل شيئاً مهماً من قوام الإنسانية ـ لكن في حدها المعقول ـ ولهذا تجد الإسلام يدعو إلى ضرورة تربية الاستعدادات الفطرية في مجال النشاط الجنسي، لأن تربية الاستعدادات الفطرية يغمر الإنسان في بحر السعادة، ويحفظ له توازنه الروحي، وينقذه من الانغماس في وحل المادة ومستنقعات

الرذيلة، ويحفظه من الانزلاق في أسر الجنس، ثم يعود ذلك كله وينعكس على أمن مجتمعه وسعادة البشرية التي تحضنه.

شهيد: هل بإمكانك يا شيخ أن تخبرنا متى وكيف دعا الإسلام إلى تربية وضبط الاستعدادات الفطرية والروحية؟

الشيخ: بكل سرور، وبالخدمة، لقد دعا الإسلام إلى تشييد العلاقات الزوجية المتينة وحثّ عليها بشدّة **((هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها))** ونهى رسول الله عن العزوبة فقال **((لا رهبانية في الإسلام))**.. وهذا حفيده الإمام الباقر عليه السلام يقول: **((ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وأني بت ليلة وليست لي زوجة))** وقد أوجب الإسلام على الزوجة تمكين الزوج منها، ومنع أيضاً من خروجها من بيته بدون إذنه لنفس السبب المتقدم، وحثّها على التجمل والتبذل في مخدع الزوج، واعتبرها ناشزاً وعاصية إن امتنعت من التمكين، وكذلك إذا جعلت المنفرات في جسدها، وإذا زنى الزوج في حال نشوز الزوجة اعتبر غير محصن فيكتفى بجلده دون رجمه، أما هي فترجم لو زنت لأنها هي التي فتحت باب الفساد وأضمأت زوجها من أن يسدّ شبقه منها. وأباح الإسلام للزوج

التمتع من زوجته بالطريقة التي يختارها كيفما شاء ما لم تكن مؤذية ومضرّة بها.

سعيد: (مقاطعاً للشيخ): إن ما ذكرته يا شيخ لا يخرج عن كونه واجبات وقيود على المرأة المسكينة، والرجل هو هو حرّ طليق!!!

الشيخ: لقد استعجلت الحكم يا سعيد، فقد حثّ الإسلام على تزويج المرأة مبكراً ((**إن من سعادة الرجل أن لا تحيض ابنته في بيته**)) كما هو مروي عن الرسولﷺ، وأوجب على الزوج وطء زوجته كل أربعة أشهر مرة على الأقل وعدم جواز هجرها أكثر من ذلك إلا بإذنها وأسقط الإسلام ولاية الأب والجد عليها إذا منعا من تزويجها بالكفء إعضالاً لها، وإذا أقسم (حلف) الزوج على ترك وطء زوجته مدة أكثر من أربعة أشهر أوجب الإسلام عليه ترك هذا اليمين وأمره بالفيء - الرجوع إلى الوطء- ودفع الكفارة، وأوجب الإسلام القسمة بين الزوجات، وخص البكر في أول زواجها بسبع ليالٍ والثيب بثلاث ليال، وحث الإسلام على الإكثار من مداعبة الزوجة قبل الوطء، وأن لا يسرع مغادرتها إلا بعد نفاذ وانتهاء الشهوة لديها، فقد ورد ﴿**إذا جامع أحدكم فلا يأتيهن كما يأتي الطير ليمكث**

وليلبث﴾ وفي روايات أخرى وصف الإسلام تحمل عناء الغسل من الجنابة في الليالي الباردة بأنه أمر جليل فيه ثواب كبير، وغير ذلك من الأمور التي تدل على التفات الإسلام إلى الاهتمام بتصريف الشهوة بالطرق الصحيحة، وتربية النفس وتزكيتها **﴿قد أفلح من زكاها﴾**.

سعيد: ولكن الله هو الذي يزكي الأنفس !!!

الشيخ: لا تقل ذلك يا عزيزي، إن الله ما بعث الأنبياء إلا لهذا الغرض ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.. صحيح إن الله يعلم بالنفوس التي اختارت التزكية وعملت وسعت إلى لبس ثوب الطهارة والفضيلة ويعلم كذلك بالنفوس المنحطة والضعيفة والمريضة، ولكن هذا العلم لا ينافي إمكانية وقدرة الفرد على تطهير نفسه، ولا يعني عدم قدرته على تزكيتها.. ولهذا نجد هذه الآية تشير إلى ثلاث حقائق مهمة هي:

الأولى: إن النفس الإنسانية معرضة للتلوث.

الثانية: إن الإنسان قادر على تزكية نفسه وتربيتها وتطهيرها من كل الأدران والأوساخ لذلك نسب التزكية له ((**من زكاها**)).

الثالثة: إن التطهير هو أمر واجب على الفرد،

والسعادة رهن هذا التطهير حصراً ﴿**قد أفلح من زكاها**﴾.

سعيد: عفواً شيخي، إن تربية الاستعدادات الفطرية وتزكية النفس التي أشارت لها الآية، ليست أمراً سهلاً أبداً والشهوة الجنسية لها حسابها الخاص، بدليل أن القرآن نفسه يقول: ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ فالنفس طواقة دائماً إلى إشباع حاجياتها الكثيرة وخاصة الغريزة الجنسية منها.

الشيخ: معذرة يا سعيد إن القرآن لا ينظر إلى النفس الإنسانية على أنها شر ذاتاً، بل ينظر إلى النفس - حينما تكون محاطة بظروف خاصة وفي ملابسات بعيدة عن الفطرة - ينظر لها وهي مكتسية لثوب التمرد والطغيان تميل إلى الشرور والعصيان. ولهذا حث الإسلام على إبعاد المؤثرات عنها، وجعل زمامها بيد العقل . . . فلو كانت النفس شريرة بأصل الخلق لما وصفها القرآن بأوصاف أخرى مثل النفس اللوامة والنفس المطمئنة والراضية والمرضية، ففي عالمنا هذا توجد النفوس التي قطعت أشواطاً من التكامل والسمو الروحي وعادت إلى ربها معززة مكرمة يحوطها هالة من الرضا الإلهي ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾.. نسأل الله تعالى

أن يدخلنا جنته.

الجميع: آمين. . . . آمين.

وهنا شعر سعيد بالارتياح لأن الجلسة هذه قد شارفت على الانتهاء، وأخذ سعيد يطمئن نفسه: الحمد لله أنهم لم يتكلموا حول العادة السرية، فقد كان حديثهم في مشاكل الجنس بصورة عامة.

وفجأة يطلق شهيد هذه الكلمات التي أعادت الشقاء لسعيد من جديد.

شهيد: اسمحوا لي أن أدعوكم على مائدة العشاء ليلة الجمعة القادمة في بيتي، ولكن هذه المرة نسلط الأضواء على العادة السرية وأخطارها وأضرارها ورأي الشريعة والحقل الطبي فيها.

الجميع: اتفقنا يا شهيد.

لقد أصبح سعيد حائراً يقلب كفيه ولسان حاله: يا ويلي. . . يا شقوتي. . . لماذا لا يتركونني بحالي. . . ؟

في صباح يوم الخميس اجتمع أفراد عائلة المرحوم جابر على مائدة الإفطار.

شهيد: أمي أرجو أن تكوني على استعداد لإعداد الوليمة هذا اليوم.

الأم: أي وليمة يا شهيد؟

شهيد: لقد دعوت أصدقائي، الشيخ هادي والدكتور مصطفى وفاهم على العشاء في هذه الليلة.

الأم: أحسنت يا شهيد، إنني أحب أصدقاءك هؤلاء، إنهم من عوائل طيبة وملتزمة، وهم من تلاميذ والدكم المرحوم.

شهيد: (يلتفت إلى سعيد): ها.. يا سعيد ستكون حاضراً معنا هذه الليلة.

سعيد: لا أدري إنني متعب نفسياً، وسوف لن أنفعكم في حوارية هذه الليلة.

شهيد: أرجوك يا سعيد لا تبخل علينا بحضورك، إنهم يحبونك، لقد رأيت كيف أكبروا فيك اهتمامك بمشاكل الشباب، ولهذا قرروا أن يقدموا لك العون والمساعدة، فاضغط على نفسك واحضر رجاءً.

سعيد: كما تريد.... سأحضر.

*****



الحوارية الثانية

لقد بدا منزل الأستاذ المرحوم جابر بهي المنظر في هذا اليوم ـ الخميس ـ فقد بذلت الأم جهوداً إضافية أخرى في تنظيف وترتيب أثاث البيت، فأعواد البخور موزعة في أنحاء البيت، وروائحها تغمر كل زواياه، وصار منظره يروق لكل زائر ينظر في ثناياه، ولقد كانت أم شهيد في نشاط دائم، وحركة مستمرة، وكأنها إحدى العاملات في خلية النحل. . .

تتالت أصوات رنين الجرس تباعاً، إنهم ضيوف هذه الليلة، ولقد كان شهيد مشغولاً بفتح الباب والترحيب بالأصدقاء. . . بينما كان سعيد يعيش بين ركام الأفكار الكثيرة، والهواجس الغزيرة، والهموم تعصر قلبه الذي علت خفقاته بسب قرب موعد العشاء. . .

يا إلهي ماذا عساني أن أفعل وسط هؤلاء وأنا لا أحيط بشيء؟! سوف أتمارض وأعتذر من الحضور، فأبقى في غرفتي. . .

لا. لا. . إن هذا يلفت انتباههم. . يجب أن أتصرف بشكل طبيعي. . سأحضر إذاً وأكتفي بكتابة ما يذكرونه.

نزل سعيد من غرفته متجهاً نحو الصالة حيث يجلس

الشيخ هادي والدكتور مصطفى وفاهم، دخل سعيد مسلماً عليهم، وعلامات الارتباك ظاهره على محياه، وقد ارتسمت ملامح الترحيب الكبير على وجوههم:

((أهلاً وسهلاً بسعيد))

الشيخ: نرجو أن تكون قد استفدت من الحوارية السابقة في ليلة الجمعة الماضية.

سعيد: كثيراً يا شيخ.

الشيخ: نحن بحاجة ماسة لك ولأمثالك من الشباب الواعين.

سعيد: جزاك الله خيراً يا شيخ.

لم يشعر سعيد بالارتياح قط وهو يجلس بين أصدقاء أخيه، لكن سرعان ما شعر بالفرح المؤقت وهو يسمع صوت شهيد من المطبخ يناديه: سعيد، أرجوك تعال إلى هنا، نحن بحاجة إلى بذل المساعدة منك في تحضير العشاء.

هرع سعيد نحو المطبخ حيث الأم وشهيد، وبدأ الجميع يعدون العشاء ويعملون على تحضيره قبل رفع آذان صلاة العشاءني.

لقد انغمر قلب الأم بالراحة والسكينة وهي تعيش هذه اللحظات الإيمانية التي انبعثت من حضور

هؤلاء المؤمنين... ولكن فيض من السرور هطل على قلبها، وتهلل وجهها فرحاً حينما سمعت صوت فاهم وهو يرفع الآذان:

((إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما))...

تحركت بالصلاة على محمد وآل محمد.. وهي لا تدري كيف تعبر عن سرورها وغبطتها.. ولكن ها هي تبث إلى ولديها هذه الكلمات الصادقة:

(ما أجمل أن يلتقي الأحبة والإخوان على مائدة الإيمان)...

شهيد: نعم يا أمي صدقت والله، نسأل الله أن يبعدنا عن مجالس اللهو والبطالين وقساوة القلوب فقد نهانا أمير المؤمنين عليه السلام عن مجالسة السفلة بقوله: **((إياك ومخالطة السفلة، فان السفلة لا تؤول إلى خير))...**

الأم: آمين.. آمين.

تقدم الشيخ هادي نحو سجادة الصلاة، واصطف خلفه شهيد وسعيد وفاهم، بينما وقف الدكتور مصطفى يقيم للصلاة. سكون يملأ زوايا الدار، سكون تسمع فيه حتى دبيب النمل في حشا الأرض وشقوق الجدران، إنه ذوبان الأصدقاء في صلاة

الجماعة. لقد أعاد هذا السكون الأم إلى أرشيف الماضي، حيث الموالد التي كان يقيمها زوجها جابر بحضور جمع من أصحابه... ووسط هذه الصور القديمة والذكريات الجميلة تسمع الأم صوت ابنها شهيد:

((تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران بالصلاة على محمد وآل محمد))..

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد...

ثانية على حب فاطمة الزهراء..

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد

الثالثة على حب قائم آل محمد بأعلى أصواتكم..

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد..

لقد قطعت هذه الصلوات الشبابية أوصال السكون، وغدا أريج الإيمان يشع في كل جانب..

ثم تلاها صوت عذب رقيق:

السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله....... إنه صوت فاهم يقرأ زيارة وارث، هذا الصوت الذي يحمل في طياته ألوان الأسى، ويصدح بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام.

استمعت الأم إلى فقرات الزيارة ومقاطع الدعاء على لسان فاهم... لحظات وانقطع الصوت، فدخل شهيد وسعيد مسلمين عليها.

الأم: وعليكما السلام تقبل الله أعمالكم، وحفظكم الله من كل سوء.

شهيد: منا ومنك يا أمي، ولكن هيا يا سعيد لنحمل العشاء إلى الصالة وعاد الصمت مرة أخرى يغلف أجواء المنزل، ولكن هذه المرة حول صحون الطعام الذي أعدته أم شهيد.

الجميع: سفرةٌ دائمة، وبيت معمور بالإيمان، ونشكر مساعي أم شهيد لقد أتعبناها في هذه الوليمة.

شهيد: جزاكم الله خيراً، إننا جميعاً مسرورون بهذا اللقاء الإيماني معكم، وخاصة الوالدة فهي أكثر سروراً.

فاهم: والآن يا شيخ ويا دكتور، فقد كنا اتفقنا فيما مضى أن نسلط الأضواء في هذه الليلة حول ظاهرة منحرفة وفتاكة، تهدد بناء الشخصيات والمجتمع ككل، وهي العادة السرية أو الاستمناء، وأخونا سعيد سيستمع إلى الحوارية ويطرح ما يريد من أسئلة حول هذه الظاهرة...

الجميع: اتفقنا.

فاهم: والآن يا شيخ أتحفنا بما عندك حول العادة السرية.

الشيخ: أود - قبل الحديث - إلفات النظر إلى شيء، وهو تسميتها بالعادة السرية فيه غفلة عن الله تعالى الذي قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[1]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾[2]، ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾[3].

وأحب أن أنقل لكم قصة اهتز لها كياني وبكيت عند سماعها، فقد نقل أن امرأة محتاجة طرقت باب أحد الموسرين ليعينها على دهرها، فأبى إلا أن ينال من شرفها، فامتنعت وتركته ولكنها لم تجد سبيلاً إلى سد رمقها إلا هذا الرجل، فعادت إليه وأصر على طلبه، فاستجابت تحت ضغط الحاجة ودخلت معه إلى الدار، فلما أراد أن يقضي رغبته منها قالت له:

هل أغلقت الأبواب؟

قال: نعم أغلقتها كلها..

قالت: لكن بقي باب واحد مفتوحاً..

قال: وما هو..

---

(١) الحاقة: ١٨. (٢) آل عمران: ٥. (٣) آل عمران: ٢٩.

قالت: باب الله تبارك وتعالى. . . .

فأدركت الرجل قشعريرة لم يحس بها من قبل وترك المرأة بعد أن أعطاها ما تحتاج إليه. . .

وقال لها: ادعي لي دعوة صادقة، فدعت الله تبارك وتعالى أن يحرم جسده على النار في الدنيا والآخرة.

قال الرجل: قد وجدت إجابة دعائها في الدنيا، فإني أمسك النار بيدي فلا تصنع بي شيئاً، واني لأرجو استجابة دعائها في الآخرة. . . .

كل ذلك ببركة مراقبة الله في السر، لأنه معنا فعلاً حتى في خلوتنا، فلا توجد عادة سرية أمام الله تبارك وتعالى، بل هي مفضوحة ومكشوفة أمامه تبارك وتعالى، فليكثر البكاء على نفسه من يفعل المعصية وإن كان يظن أنها سرية.

تأثر الحاضرون بهذه القصة، بينما أصفح سعيد بوجهه عن الجالسين وراح ينظر في حروف لفظ الجلالة ـ الله ـ في اللوحة المعلقة على إحدى جدران الصالة، كأنه ينظر لها أول مرة، وقد أثارت كلمات هذه الحادثة جروح قلبه التي لم تندمل بعد، ولكنه يحاول أن يخفي أحاسيسه المستعرة، ومشاعره المنكسرة. .

شهيد: بارك الله فيك يا شيخ:

وهنا يتم الشيخ كلامه..

الشيخ: العادة السرية وتسمى أيضاً بنكاح اليد أو الخضخضة أو الاستمناء، وسميت بالعادة السرية لأن الفرد يعتاد عليها ويمارسها في السر والخلاء، وهي من الأفعال المحرمة من قبل الشريعة المقدسة، وقد وردت الروايات العديدة من أهل بيت العصمة في التحذير منها ومنعها، وتوعدت فاعلها بالمصير المؤلم، وقد أعدت النصوص الشرعية هذه العادة في مصاف القبائح والمحرمات الكبيرة.

وهنا يستشعر الجميع التغيرات التي اعتلت وجه سعيد حتى صار كالحاً قاطباً موجماً، تخرج أنفاسه بصعوبة، فيكاد يختنق من الخجل، ويصرخ من حرقة الندم.

فاهم: وما هو حكم النساء بالنسبة للممارسات الجنسية المختلفة؟

الشيخ: أحسنت يا فاهم على هذا السؤال الذكي.. فإنه يجدر بنا أن نذكر بحرمة أي فعالية أو عمل جنسي تأتيه المرأة بعيداً عن الحدود الزوجية التي رسمها الشارع المقدس لها. ولذا نرى تحريم الشارع المقدس لجملة من الأمور: كالمساحقة (**إتيان المرأة للمرأة**) كنوم المرأة العارية مع امرأه عارية أخرى

تحت غطاء واحد، وكذلك حرّم الشارع تقبيل المرأة للطفل أو المرأة بشهوة وكذلك حرّم المرأة مس جسدها أو بعض مراكز الشهوة فيها لغرض الإثارة والشعور باللذة الجنسية.

شهيد: فلنتبرك إذاً يا شيخ بذكر الروايات.

الشيخ: قال النبي الأعظمﷺ:

((سبعة يلعنهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ويقول: ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول به وناكح البهيمة، وناكح الأم وبنتها، وناكح يده إلا أن يتوبوا)).. [1].

وعن أنس بن مالك عن رسول اللهﷺ قال:

((سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا يجمعهم مع العالمين، يدخلون النار مع الداخلين إلا أن يتوبوا، فمن تاب، تاب الله تعالى عليه، الناكح يده، والفاعل والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب أبويه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه، والناكح حليلة جاره)).. [2].

وقد لعن رسول اللهﷺ المستمني **(الناكح يده)**

---

(١) الكبائر للذهبي ص٥٧، نقلاً عن العادة السرية.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢ ص٢٠٨، نقلاً عن العادة السرية.

فقال:

((لعن الله الناكح كفه))..[1].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: **((ناكح اليد ملعون))..**[2].

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن الخضخضة **(العادة السرية)** فقال: هي من الفواحش[3].

وعن أبي بصير(رض) قال: سمعت الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:

((ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: الناتف شيبه، والناكح نفسه، والمنكوح في دبره))..[4].

فاهم: ما معنى الناكح نفسه يا شيخ؟!

الشيخ: هو نفسه ناكح اليد **(المستمني)**.

الجميع: أعاذنا الله منها.

---

(١) فلسفة الدين الإسلامي للزهري ص١٠٣، نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) روح المعاني للألوسي ج١٨ نقلاً عن المصدر السابق.

(٣) فروع الكافي للكليني ج٢ ص٦٩ نقلاً عن المصدر السابق.

(٤) الوسائل للحر العاملي ج٣ ص٤٥ نقلاً عن المصدر السابق.

لقد ارتعدت فرائص سعيد، واحمر وجهه، وكاد قلبه ينخلع في جوفه، وهو يسمع هذه النصوص المقدسة. وقد أدرك الحاضرون ذلك، ولكنهم كانوا يغضون الطرف عنه، وكأنهم لم يشعروا بذلك.

شهيد: وما هي عقوبتها في الإسلام؟

الشيخ: عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

((أتي علي أمير المؤمنين عليه السلام برجل عبث بذكره حتى أنزل. فضرب يده بالدرة حتى احمرت))...[1].

وهنا يشعر سعيد بخيبة الأمل، مطأطئاً رأسه من شدة الخجل.. ولكنه يحاول أن يحمل جناحه المهيض ليكرّ مرةً أخرى.

سعيد: لا أدري ماذا أقول؟ ولكنكم تصفون العادة السرية وتصورونها وكأنها جريمة الزنى !

الشيخ: ليست الأخطار الناجمة عن الاستمناء **(العادة السرية)** قليلة كما يظن البعض خطأً، إنها عبث بمادة الحياة يا سعيد... سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل ينكح بهيمته أو يدلك **((أي يستمني بيده))**

---

(١) الاستبصار للشيخ الطوسي ج٣ ص.٢٢٦

فقال ﷺ: **(كل ما أنزل به الرجل ماءه في هذا أو شبهه فهو زنى)**[1].

فاهم: لا نبالغ يا سعيد لو قلنا إن العادة السرية أخطر من الزنى.

سعيد: ماذا؟! كيف يكون ذلك؟!

فاهم:

أولاً: لأن الزنى يحتاج في تحققه إلى طرف آخر وهو المرأة، فيحتاج إلى البحث عن امرأة تستجيب دعوة الداعي إلى الزنى بخلاف الاستمناء فإنه أحادي الفاعل وهذا ما يكسبه خطورة.

ثانياً: توقف الزنى عادة على مكان خاص لممارسة الجريمة ومبلغ مالي، بخلاف العادة السرية فهي سهلة المؤونة على فاعلها وهي بمتناول يده يفعلها متى شاء فلا تعيقه الحدود، حتى روى لنا صاحب كتاب مشاكل الشباب الجنسية إن أحدهم مارس هذه العادة وهو في حالة الحمى فكانت سبب هلاكه وموته!!

ثالثا: وقد يرتوي الزاني من جريمة الزنى ويقضي على ضمئه أما العادة السرية فهي لا تطفئ نار

---

(١) فروع الكافي ج٢ ص٦٩.

الشهوة، بل هي التي تضرم هذه النار وتزيدها ضراوة، فيميل الفرد المصاب بهذا الداء الوبيل إلى تكرار هذه العملية عدة مرات في اليوم الواحد، فتزداد العادة رسوخاً في كل مرة.

رابعاً: أن العادة السرية تكون أحياناً نافذة إلى ارتكاب الزنى - أعاذنا الله - فلربما قادت حمم الشهوة صاحبها لأن يرتمي في أحضان المومسات قضاءً لوطره وليُكتب في الخاسرين والخائبين !!

شهيد: ماذا بعد يا شيخ.

الشيخ: وعن سعيد بن جابر:

((عذب الله أمةً كانوا يعبثون بمذاكيرهم))... [١].

وعن عطاء:

(سمعت قوماً يحشرون وأيديهم حبالى واظن أنهم الذين يستمنون بأيديهم).... [٢]

فاهم: ها.. يا سعيد ما رأيك بهذه الروايات الشريفة، يبدو أنها مفيدة ونافعة في البحث حول مشاكل الجنس؟

سعيد: ولكن من يقول بأن هذه الروايات صحيحة فمن

(١) روح المعاني ج١٨ ص١٠ نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

يدري لعلها موضوعة؟

تعجب الجميع من جحود سعيد لهذه الروايات، ولكن الشيخ تدارك الموقف فانبرى قائلاً: طيب يا سعيد... ما رأيك بالقرآن؟

سعيد: كلام لا ريب فيه.

الشيخ: إن الله حرم كل فعل خارج الموارد المحللة التي ذكرها القرآن.. اسمع هذه الآية:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)﴾[١].

شهيد: وماذا يعني المقطع الأخير من هذه الآية؟

الشيخ: إن الله هو خالق الإنسان وهو الذي خلق الجهاز التناسلي فيه، والله هو العالم بما يلائم هذا الجهاز والطرق الصحيحة التي يعمل بها ولذا قنن الله سبحانه وتعالى عمل هذا الجهاز وحدد دوائر نشاطه في مجالين هما الزوجة والأمة، وإعتبار أي نشاط جنسي خارج هذه

---

(١) المؤمنون: ١ - ٧.

الدوائر محظوراً ومروقاً عن التكوين الإلهي لهذا الجهاز، وتعدياً عن الإذن السماوي المسموح به (**الزوجة والأمة**). والاستمناء ((**العادة السرية**)) من مصاديق التعدي والخروج عن المساحة المباحة للنشاط الجنسي، وبهذه الآية استدل الإمام الصادق عليه السلام عن الخضخضة ((**العادة السرية**)) فقال عليه السلام:

((**إثم عظيم قد نهى الله عنه في كتابه، فاعله كناكح نفسه ولو علمت بمن يفعله ما أكلت معه**)).

فقال السائل: فبين لي يا ابن رسول الله من كتاب الله نهيه:

فقال عليه السلام: قول الله ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[1]. وهو مما وراء ذلك.

فقال السائل: أيما أكبر الزنى أم هي؟

فقال عليه السلام: ((**هي ذنب عظيم**))[2].

فاهم: ((**يحاول أن يُسمع سعيداً**)): هل عمل العلماء بهذه الروايات واستدلوا على حرمة الاستمناء بهذه الكلمات من القرآن؟

الشيخ: إن العلماء هم أعرف الناس بكلام المعصوم، فأهل

---

(١) المؤمنون: ٧ .

(٢) بحار الأنوار ج٢٣ ص٩٩ نقلاً عن كتاب العادة السرية.

الدار أدرى بما فيه، فهم يسهرون أعينهم ويحنون ظهورهم عكوفاً على دراسة سند الرواية ومدلولها، ولا يأخذون بشيء إلا بعد التحقيق والتدقيق فيه، وعلى أي حال استدل علماؤنا على حرمة العادة السرية ومعاقبة مرتكبها..

فقد انتهى المفيد في كتابه ((**المقنعة**)) وكذلك العلامة الحلي في كتابه ((**التحرير**)).. بحرمة الاستمناء (**العادة السرية**) وهذه هي الفتوى:

((من استمنى بيده حتى أمنى، كان عليه التعزير بضرب يده، أو ما يراه الإمام)).

وقد جاء في كتاب المبسوط للشيخ الطوسي (قدس سره):

((والاستمناء باليد محرم إجماعاً...)).

الدكتور: وما رأي العلماء المعاصرين في الموضوع يا شيخ؟

الشيخ: نفس الفتوى والحكم يا أحبتي، فقد وجهت ثلاث أسئلة إلى المراجع العظام في النجف الأشرف وهم كل من: السيد محسن الحكيم الطباطبائي (قدس سره) والسيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) والسيد محمود الشاهرودي (قدس سره).. فكان الجواب واحداً.

والأسئلة هي:

١ ـ هل يجوز للشاب أن يمارس العادة السرية؟

٢ ـ هل يجوز للشابة ممارسة العادة السرية؟

٣ ـ هل للحاكم الشرعي معاقبة مرتكبها؟

جواب السيد الحكيم (قدس سره):

بسم الله تعالى: محرم ممارسة العادة السرية على الشاب والشابة.

نعم يعاقب الحاكم الشرعي مرتكب هذه الجريمة.

جواب السيد الخوئي (قدس سره):

بسمه تعالى شأنه: الاستمناء حرام على الرجال والنساء، وللحاكم الشرعي تعزيرهما حسبما يرى من المصلحة والله العالم.

جواب السيد الشاهرودي (قدس سره):

بسم الله تعالى شأنه:

١ ـ لا يجوز للشاب ممارسة العادة السرية.

٢ ـ لا تجوز للشابة ممارسة العادة السرية.

٣ ـ للحاكم الشرعي أن يعاقب مرتكبها مع وجود الشرائط.

لقد أصبحت الدنيا سوداء حالكة في عيني سعيد وهو يسمع هذه الأحكام من المراجع العظام، حتى صار معقود

اللسان، ضعيف الجنان، تخومه الألفاظ، وكأنه نسي جميع الحروف!! ولكي يخرج من المأزق الذي هو فيه، ويبرر تصرفه هذا، راح يتشدق بكل شيء وإن كان واهياً ضعيفاً. . .

سعيد: وهل ذهب علماء السنة إلى نفس هذه الآراء في حرمة هذا الفعل وتفسير الآية بنفس المضمون؟ فلعل هناك خلافاً في الموضوع.

الشيخ: (مبتسماً): طبعاً قول الأئمة المعصومين هو الصدق والحزم والجزم في تفسير القرآن، وفي بيان سائر الأحكام، لأنهم عُدلاء القرآن وتراجمة وحيه، وسكان مكة أدرى بشعابها يا سعيد. . ولكن نزولاً عند رغبتك أقول:

إن إخواننا من علماء السنة وافقونا في الرأي بحرمة العادة السرية فهذا الفقيه الشافعي يقول:

قال الله تبارك وتعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾، فلا يحل العمل بالذكر إلا في زوجته أو ملك يمينه، فلا يحل الاستمناء

والله أعلم.

وقال القرطبي في تفسيره:

(**قال بعض العلماء إنه كالفاعل بنفسه**) وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قبلة. ويا ليتها لم تقل ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها. فان قيل إنها خير من نكاح الأمة، قلنا: (**نكاح الأمة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء خير من هذا**).

وقال الشيخ محمد نووي:

﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ أي ممسكون فلا يرسلونها على أحد (**إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**) أي سراريهم.

(**فانهم غير ملومين**) على عدم حفظها منهن. إذا كان إتيانهن على وجه الحلال (**فمن ابتغى وراء ذلك**) أي فمن طلب غير ذلك المستثنى كإتيان بهيمة، أو زنى، أو لواط، أو استمناء بيد (**فأولئك هم العادون**) أي الكاملون في مجاوزة الحدود.

وقال السيد محمود الألوسي في تفسير هذه الآية:

((وكذا اختلف في استمناء الرجل بيده، ويسمى الخضخضة، وجلد عميرة، فجمهور الأئمة على

تحريمه وهو عندهم داخل فيما وراء ذلك)).

ويقول الفخر الرازي في التفسير الكبير، لدى تفسير هذه الآية:

((يجب حفظ الفروج عن الكل إلا في هاتين الصورتين)) يعني الزوجة وملك اليمين(الأمة).

ويقول سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن):

﴿.. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾.. وراء الزوجات وملك اليمين، ولا زيادة بطريقة من الطرق. فمن ابتغى وراء ذلك فقد عدى الدائرة المباحة، ووقع في الحرمات، واعتدى على الأعراض التي لم يستحلها بنكاح ولا بجهاد (ملك اليمين). وهنا تفسد النفس لشعورها بأنها ترعى في كلأ غير مباح، ويفسد البيت لأنه لا ضمان له ولا اطمئنان، وتفسد الجماعة لأن ذئابها تنطلق فتنهش من هنا وهناك: وهذا كله هو الذي يتوقاه الإسلام...

يطرب الجميع لصدى هذه الكلمات ذات المشاعر الصادقة والمعاني الشامخة.

الدكتور: الله.. الله.. ما أحسنه كلام، وأعذبه من بيان، ما أعظم دين الإسلام، وأعلاه على سائر الأديان!!

شهيد: ما أجمل نظم هذه الكلمات أتحفونا بالمزيد من هذه

الدرر الجميلة، والمنح الثمينة.

الشيخ: ماذا يكون شعوركم إذاً لو قرأت على مسامعكم الكريمة تفسير هذا الرجل (**سيد قطب**) لهذه الآية: (**والذين هم لفروجهم حافظون**)؟!

فاهم: هيا.. ماذا تنتظر؟، أفض علينا يا شيخ، لقد سئمنا هذه الحياة المادية، أقرع قلوبنا بهذه الكلمات، لعلها تنفض الرين ـ الصدأ ـ الذي علاها، ولعل هذه الكلمات تبدد الظلام الذي كساها...

الشيخ: يقول سيد قطب في تفسير الآية: (**والذين هم لفروجهم حافظون**).

وهذه طهارة الروح والبيت والجماعة. ووقاية النفس والأسرة والمجتمع. بحفظ الفروج من دنس المباشرة في غير الحلال، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير الحلال، وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب، ومن فساد البيوت فيها والأنساب. والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة معرضة للخلل والفساد، لأنه لا أمن فيها للبيت، ولا حرمة فيها للأسرة، والبيت هو الوحدة الأولى في بناء الجماعة، إذ هو المحضن الذي تنشأ فيه الطفولة وتدرج، ولا بد له من الأمن

والاستقرار والطهارة، ليصلح محضناً ومدرجاً، وليعيش فيه الوالدان مطمئناً كلاهما للآخر، وهما يرعيان ذلك المحضن. ومن فيه من فراخ!...

فاهم (مقاطعاً للشيخ): اسمع.. اسمع.. يا سعيد، أي حياة نزيهة ونظيفة تلك التي يرسمها لنا الإسلام؟!

سعيد (بانكسار واضح): إنني أسمع...

الشيخ (متمماً لكلمة قطب)...

والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة في سلّم البشرية، فالمقياس الذي لا يخطئ للارتقاء البشري هو تحكم الإرادة الإنسانية وغلبتها، وتنظيم الدوافع الفطرية في صورة مثمرة نظيفة، لا يخجل الأطفال معها من الطريقة التي جاؤوا بها إلى هذا العالم، لأنها طريقة نظيفة معروفة، يعرف فيها كل طفل أباه، لا كالحيوان الهابط الذي تلقى الأنثى فيه الذكر للقاح، وبدافع اللقاح، ثم لا يعرف الفصيل كيف جاء ومن أين جاء!. والقرآن الكريم هنا يحدد المواضع النظيفة التي يحل للرجل أن يودعها بذور الحياة: ((إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين))..

وما إن سكت الشيخ حتى هتف الجميع: أحسنت يا شيخ، انه سحر آيات القرآن الذي له حلاوة، وعليه طلاوة، وأسفله مغدق، وأعلاه مثمر قد أعد منها سيد قطب هذا الخليط الشهي، والمزيج الروي، والشراب النقي، الذي يحيي القلوب،

ويسمو بالروح إلى أفق المسلم الرسالي، والمؤمن المثالي، الذي أراده القرآن ((قد أفلح المؤمنون الذين. . . . . . .)).

شهيد: أرى الدكتور لم يشارك كثيراً في هذه الحوارية، فلم يتحفنا هذه الليلة بالآراء العلمية في المجال الطبي لهذه العادة الخطيرة.

الدكتور: أعدك يا شهيد أنني سأتكلم عن أضرار ومساوئ وطرق علاج هذه العادة بأقرب فرصة متاحة.

فاهم: والآن يا شيخ بماذا سنختتم هذه الجلسة الرفيعة والحوارية المباركة؟

الشيخ: كان الإمام زين العابدين﴿عليه السلام﴾ إذا ابتلي أو رأى مبتلى بفضيحة أو بذنب دعا بهذا الدعاء وهو مذكور في الصحيفة السجادية، فاسمعوا:

((اللهم لك الحمد على سترك بعد علمك، ومعافاتك بعد خُبرك، فكلنا قد اقترف العائبة فلم تشهره، وارتكب الفاحشة فلم تفضحه، وتستر بالمساوئ فلم تُدل عليه، كم نهي قد أتيناه، وأمر قد أوقفتنا عليه فتعديناه، وسيئة اكتسبناها، وخطيئة ارتكبناها، كنت المطلع عليها دون الناظرين، والقادر على إعلانها فوق القادرين، كانت عافيتك لنا حجاباً دون أبصارهم، وردماً دون اسماعهم، فاجعل ما سترت من العورة، وأخفيت من الدخيلة، واعظاً لنا، وزاجراً عن سوء الخلق، واقتراف الخطيئة، وسعياً إلى التوبة الماحية، والطريق المحمودة، وقرب

الوقت فيه، ولا تسمنا الغفلة عنك، إنا إليك راغبون، ومن الذنوب تائبون، وصل على خيرتك اللهم من خلقك: محمد وعترته الصفوة من بريتك الطاهرين، واجعلنا لهم سامعين ومطيعين كما أمرت)).

الدكتور: أحسنت يا شيخ، جزاك الله خيراً.

تعجب الجميع وهم يرون سيلان الدموع منحدرة على وجنتي سعيد، وهو آخذ في كفكفتها، وهناك خلف هذه الدموع زفرات مكنونة في صدره، تبعث بهوادة نشيجاً بصوت نحيل ولكن مع ذلك فهو يشاور أسماع الجالسين ولا يخفي على الحاضرين.

شهيد: أطلب منكم طلباً، وأرجو أن توافقوا عليه.

الجميع: تفضل يا شهيد.

شهيد: أرجو أن لا تحرموننا هذه المجالس الجميلة، فإني أدعوكم الخميس القادم إلى الحضور مرة أخرى ولكن هذه المرة من دون عشاء.

ضحك الجميع موافقين على دعوة شهيد المجردة من العشاء، وطلبوا الإذن من شهيد وسعيد بانصراف ملتمسين منهم الدعاء...

*****

لم تكن هذه الجلسة الجميلة والحوارية الممتعة كسائر الجلسات والحواريات الأخرى، لقد غشيت الرحمة والبركة حياة الأم، وأعادت هذه الجلسة الحياة من جديد إلى منزل الأستاذ جابر، لقد بدأ بياض الجدران في هذه الليلة - في نظر الأم - أكثر نصعاً من الأيام التي تلت رحيل الأب، وكيف لا تكون كذلك؟! وأنوار الإيمان ونسمات السماء قد غمرت فضاء الدار، حتى مازجت كل شيء في البيت...

لم يطل تفكير الأم كثيراً، حتى أدركت سبب فيض هذه المنح الجليلة وهو بركة اجتماع القلوب على مائدة القرآن وبساط الألفة والأنس بالله.. مجالس يرتضيها الله ويخلع عليها لباس العناية والهداية... مجالس قال في حقها رسول الله ﷺ: **((مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة))**.

أما شهيد فلقد أحس بشعور كاد أن يحلق به بعيداً عن سطح الدار، وهو يقف أمام صورة أبيه يخاطبها: كم أنت عظيم يا أبي، لقد ربيت هذه الشبيبة المؤمنة الواعية وأحسنت كفالتها، يا ليت أساتذة اليوم يسمعون ويعون مسؤوليتهم، فيستشعرون بحلاوة إعداد الجيل وتوجيههم إلى درب الرسل والأنبياء والصالحين.

لقد أحس شهيد بأن هذه الجلسة وهذه الوجوه المؤمنة كلها من صنع أبيه، الذي كان مثابراً في تدريسه والعناية بالنشء

والجيل الصاعد... وها هي جهود أبيه أثمرت عن هذا المستوى الطيب والرفيع الذي يتمتع بالأخلاق الفاضلة من تآلف وتكاتف وتعاون وبذل النصيحة لله وفي الله.

استمر سعيد في غرفته، يجيل في ذهنه المشاهد والصور التي رسمتها كلمات الشيخ وفاهم والدكتور وشهيد، انكب على وجهه يلعن حظه العاثر:

يا للخيبة.. يا لتفاهتي..

لماذا أنا بعيد عن خط هؤلاء الشباب؟

إن الدرب الذي سلكوه هو درب الرساليين والمؤمنين، والأولياء والصالحين.. بلا شك..

فما هو الدرب الذي أسير فيه؟!...

إنه درب المردة والقردة...

درب الشياطين والفاسقين!!

أين أسير؟!

وفي أي دهليز مظلم أعيش؟!

أنا ملعون في لسان الروايات وأحاديث المعصومين..

أنا متجاوز لحدود الله..

أنا ممن يصرف نعمة الله في غير موضعها الصحيح.. لو كان الإمام علي عليه السلام موجوداً لضرب يدي حتى تحمر،...

فأنا إذاً من أعدائه!!...

لماذا لا أكون من شباب علي وحاملي فكره وخلقه؟!

آه... آه...

يا لها من أحاديث مخيفة...

ويلي أين أذهب من عذاب الله وقد ((أحصاه الله ونسوه))...

إن جهنم تنتظرني ((وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا))..

واسوأتاه، واشقوتاه.. واويلاه.. هل سأكون مع هذه الزمر المأخوذ بها إلى جهنم المضرمة ولظى؟

سأخسر الآخرة...

ولن أحشر مع أبي في الجنة...

إنها زفرات وشهيق حطم شيئاً من الحجب التي كانت تغلف قلبه، جعلت قلبه الخافق يكتظ بالغيم ويرعد ويبرق... فعلا نحيبه وهطلت الدموع وهو يصيح:

((يا ويلي.. يا ويلي.. يا ويلي))..

تقطع قلب شهيد ألماً وهو يستمع لهذه الكلمات، التي لم تحل جدران المنزل والباب الخشبي من سماعها، ولكنه في نفس الوقت فرح بهذا التحول الحاصل لسعيد، لأنها مسألة طبيعية وهي باكورة الخير وعلامة النجاح تماماً كالمطر بعد انقطاعه حينما ينقي الجو ويغسل الأحياء من غبار الخريف، ويفيض الصفاء على الحياة...

*****

أما الأم فقد ركضت نحو غرفة سعيد، ودخلت عليه وهي في حيرة من أمرها.

الأم: ولدي سعيد ماذا دهاك؟! أرجوك لا تقلقني عليك، هل هناك مشكلة؟!

سعيد: لا شيء يا أمي... دعيني أمسح رأسي بصدرك... دعيني أرتمي في حضنك لأشعر ببرد العيش كما لو كنت وليداً صغيراً.

احتضنت الأم سعيد بلهفة شديدة وهي تمسح خدها برأسه حتى اختلطت دموع الأم والابن سوية.

لم ير شهيد بدأ من الذهاب إلى غرفة سعيد، فدخل وجلس مع أمه وسعيد على السرير وأخذ يمسح الدموع عن خدي أخيه، مخاطباً أمه:

لا تخشي شيئاً يا أماه... الأمر بسيط لا تقلقي... إن سعيد تذكر والده المرحوم فلم يستطع أن يتمالك مشاعره فراح يبكي.. دعيه أرجوك.. أنا معه لا تخافي عليه.. اذهبي للراحة أقسم عليك بالزهراء يا أماه...

خرجت الأم وبقي شهيد بجانب سعيد فألقى إليه كلمات

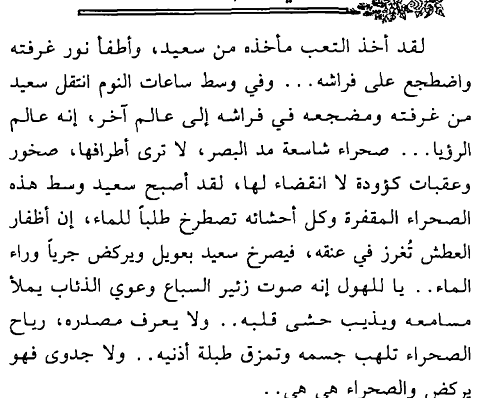
ذكية ومؤثرة، ثم خرج من عنده، وكانت:

((يا سعيد إن رحمة الله وسعت كل شيء... وإن الله كتب على نفسه الرحمة... وإن الله يغفر كل شيء إلا أن يشرك به))..

هدأ روع سعيد قليلاً.. وشعر بسكون جميل، كذاك الذي يعم الأرض بعد ساعات المطر، وأطفأت مصابيح البيت، وساد السكون والظلام معاً... لتنتهي هذه الليلة بهذا المشهد المثير.

*****

في عالم الرؤيا



لقد أخذ التعب مأخذه من سعيد، وأطفأ نور غرفته واضطجع على فراشه... وفي وسط ساعات النوم انتقل سعيد من غرفته ومضجعه في فراشه إلى عالم آخر، إنه عالم الرؤيا... صحراء شاسعة مد البصر، لا ترى أطرافها، صخور وعقبات كؤودة لا انقضاء لها، لقد أصبح سعيد وسط هذه الصحراء المقفرة وكل أحشائه تصطرخ طلباً للماء، إن أظفار العطش تُغرز في عنقه، فيصرخ سعيد بعويل ويركض جرياً وراء الماء.. يا للهول إنه صوت زئير السباع وعوي الذئاب يملأ مسامعه ويذيب حشى قلبه.. ولا يعرف مصدره، رياح الصحراء تلهب جسمه وتمزق طبلة أذنيه.. ولا جدوى فهو يركض والصحراء هي هي..

سعيد: ما هذا؟

ماذا أرى؟..

إنها أشباح..

يا ربي رحماك لعلهم من بني البشر لينقذوني مما أنا فيه.

ويجد سعيد في السير رغم تعبه وعطشه اللاهب حتى صار يعلم بأن هؤلاء من البشر.. وأخذ يحمد الله على ذلك ويسرع الخطا أكثر حتى عرف هؤلاء الأشخاص وأخذ يقول:

لطفك ربي هذا والدي وأمي والشيخ هادي والدكتور مصطفى وفاهم وشهيد. وراح يصيح خلفهم:

انـــتـــظـــرونـــي.. انـــتـــظـــرونـــي.. أرجـــوكـــم انتظروني............((ولكنهم لا يسمعونه)).

لقد كثر عثاره في هذه الصحراء الموحشة وأدميت قدماه، وهو ما زال يسير بحزم، ولكن المسافة التي بينه وبينهم هي هي، فلم يقترب منهم ولم يلتحق بهم.... فصار يبكي ويصيح:

((أنا ولدكم سعيد أما تسمعون؟؟

لا تتركونني، سأضّل الطريق..

أرجوكم توقفوا..

لماذا تجفونني؟))

ولكن دون جدوى، فقد أخذت المسافة تزداد بعداً بينه وبينهم شيئاً فشيئاً... لقد شعر باليأس وتوقف في مكانه يسقي موضعه بدموع عينيه وفجأة يسمع صوت حراك على الأرض من خلفه مع نفس يشبه زئير الأسد... التفت سعيد وإذا بألسنة مشرعة.. إنها ذئاب تقترب منه.. لقد توزعت الذئاب

من حوله تحيطه من الجهات الأربع، مسح التراب والدموع عن وجهه ليتأكد من صحة ما يراه. . . فكان ما يراه هو هو، بل انتبه إلى وجود كلبين أسودين قريبين منه أيضاً. . . أما أشخاص الوالد والأم والأصدقاء فقد ابتعدوا كثيراً وعادوا أشباحاً مرة أخرى. . . قفز أحد الذئاب شاداً على سعيد. .، فتحرك سعيد وهو يستغيث: لا. . لا. . فسقط إلى جانب السرير وهو ما زال يردد هذه الكلمات: انا ولدكم سعيد، انتظروني، هنيهة وإذا بالنور يجتاح الغرفة والى جانب الباب كان شهيد واقفاً حتى أقبل نحو أخيه رافعاً إياه من الأرض وهو يكلمه: ماذا يا سعيد؟! إنه كابوس لا تخف. . اهدأ، اشرب هذا الماء. عانق سعيد أخاه شهيداً معاتباً له: لماذا لم تنتظروني.

شهيد: لا أفهم ما تقوله يا سعيد؟! ماذا تقصد؟!

وهنا أخذ سعيد يقص على أخيه الرؤيا التي شاهدها، لقد أدرك شهيد تعبير هذه الرؤيا لكنه تجاهل تفسيرها مقترحاً عليه هذا الاقتراح:

شهيد: أرى أن تذهب غداً يا سعيد إلى الحاج عارف صديق الوالد ـ رحمه الله ـ فإنه رجل خبير في تفسير الأحلام.

سعيد: سأذهب إن شاء الله.

*****

في بيت الحاج عارف

لقد داهم عطر جميل أنف سعيد وهو آخذ بالجلوس في برانية الحاج عارف، هذه الغرفة التي يذكّر كل ما فيها بالآخرة، وبأيام أهل البيتعليهم السلام . . .

أي ترحيب وجده سعيد عند الحاج عارف، فقد انهال الحاج عليه بكلمات التقريظ والمديح لوالده المرحوم وصديقه في أيام الطفولة والشباب، لقد أصر الحاج على جلوس سعيد إلى جانبه، بينما كان سعيد خجلاً من هذه الحفاوة وذاك الترحيب لأنه لا يرى استحقاق ذلك، بل كان ذلك مما يزيد في شجونه وحزنه ويشعره بالخجل الدفين من والده ذي السمعة الطيبة والذكر المحمود على ألسنة الآخرين، لقد كان يقول في نفسه: كيف أجلس بقرب هذا الرجل الفاضل؟! إنني لا أستحق احترام هؤلاء المؤمنين.

الحاج عارف: كيف حال والدتك وأخيك شهيد وأختك آمنة؟ أرجو أن تكونوا جميعاً بخير.

سعيد: الحمد لله، إننا بخير، وإن شهيداً أرسل بيدي سلاماً لك يا حاج.

الحاج: وعليكم السلام، إنني أحبكم كثيراً فأنتم عائلة طيبة ومؤمنة، زاد الله من أمثالكم وأشكر مجيئك إلى هنا، وأنا بخدمتك يا سعيد.

سعيد: أشكو إليك تدهور أحوالي واضطرابها وتغير مسيرة حياتي منذ رقود أبي في الفراش إلى هذه الساعة.

الحاج: تكلم يا سعيد من أي شيء تشكو؟ لا تخبئ عليَّ أمراً، فإني بمنزلة والدك.

سعيد: شاهدت يا حاج رؤيا مزعجة في الليلة الماضية، أقضت مضجعي وأدخلت الرعب في نفسي.

الحاج: قصها يا ولدي.

- وبدأ سعيد يحكي القصة التي عاشها في رؤياه. بينما كان الحاج عارف يستمع بسكينة ووقار إلى كلمات سعيد، وما إن أتم سعيد كلامه حتى ساد الصمت في المكان وأخذ الحاج يشبك أصابع كفيه متكئاً بمرفقيه على فخذيه، وكأنه يفكر في حل لغز دقيق، ولكن الحقيقة غير هذه، فإنه كان يستجمع في ذهنه الكلمات التي لا تجرح مشاعر سعيد ابن صديقه العزيز. لم يدم الصمت طويلاً، حتى بدأ الحاج يترجم لسعيد ما جاء في رؤياه.

الحاج عارف: اسمعني يا ولدي جيداً:

ليس العيب أن يخطئ الإنسان في حياته **((كل بني آدم خطاؤون، وخير الخطائين التوابين))**..

ولكن العيب كل العيب والخطر كل الخطر في عدم التفات الفرد الى سبيله الخاطئ، وغفلته عن سقوطه في مهاوي الذنوب.. إن السير في الصحراء يعني خوض الرحلة في عالم البرزخ، وإن كثرة الذنوب هي التي تسبب العثار المستمر، وعرقلة المسير...

أما والدك ومن معه فإن صلاح أعمالهم وحسن سيرتهم كان بمنزلة المطية التي أخذت بهم سراعاً إلى عبور هذه الصحراء والنجاة من خطرها والإفلات من قبضتها...

وبصراحة: إن خطاياك وذنوبك هي التي أعاقتك عن الالتحاق بهم والوصول إليهم...

وأما زئير الأسود وعوي الذئاب فهي الأعمال السيئة التي تتجسد عادةً بحقائق مخيفة كالعقارب والوحوش والأفاعي وما إلى ذلك..

أما الكلبان الأسودان فهما أصدقاء السوء واللذان يرافقان المرء في هذه العوالم لأنهم كانوا يعملون المنكر سوية، ويفعلون القبيح معاً، فلا يفترقان في عالم البرزخ... إن الله يحبك كثيراً إذ منحك هذه الرؤيا النافعة، لكي تنظر في

حساباتك من جديد، وتراجع أعمالك، وتراقب أفعالك. . .

وهنا بدت ملامح الأسى والحزن واضحة تطرز وجه سعيد، إنه لم يجد وسيلة إلا أن يتجه بصدق وإخلاص نحو الحاج عارف.

سعيد: بماذا تنصحني يا عم؟

الحاج: يا سعيد لازم هؤلاء الفتية (الشيخ هادي والدكتور وفاهم وشهيد)، إنهم آمنوا بربهم فزادهم هدىً، فقد أراك الله حالهم وسط تلك العوالم المذهلة، فاتبعهم يا سعيد إن من لا يتبع الحق يقع في الضلال لا محال، لا تماشي أحداً يخالف الله ورسوله وكتابه، لأن الذين يخالفون ذلك هم شياطين الإنس الذين يصدون عن سبيل الله وطريق معرفته، وعليك يا ولدي أن تكون من قراء القرآن الكريم فإنه الشافع المشفع في الآخرة وهو الذي يهدي من اتبعه إلى سبل السلام.

*****

تعجب شهيد كثيراً وهو يرى قصاصات صور سعيد ممزقة في سلة المهملات!! رفع شهيد هذه القصاصات وأخذ يطابق ويجاور أجزاءها، وإذا بها صور سعيد وسط أصدقاء السوء مروان وهشام.

سحب شهيد نفساً طويلاً والارتياح والغبطة تملأ جوانحه وجوارحه قائلاً: الحمد لله، هذا من فضل الله، والرؤيا وتعبير الحاج عارف لها.

لقد تغير سعيد كثيراً، لقد صار يترقب ليلة الجمعة القادمة بشغف كبير، مع أنه كان لا يهفو فيما مضى الى تلك الجلسات بل كان يحاول الهرب والاعتذار ويخلق المعاذير لكي لا يشارك في الحضور. إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء قد تداركته وأحاطت به.

****

في عصر يوم الخميس، دخل سعيد الى المكتبة وفي حوزته القرآن ومجموعة من الكتب، فسلم سعيد على أخيه شهيد.

شهيد: ها.. يا سعيد ماذا تفعل بهذا المصحف الذي بيدك وهذه الكتب؟!

سعيد: أريد أن أختم القرآن، فإنني لم أعمل بوصية والدي الذي كان يؤكد على قراءة القرآن، إذ كان يروي لنا الحديث ((**من جعله - القرآن - أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه الى النار**)).... وهذه مجموعة من الكتب استهوتني فتصفحتها.

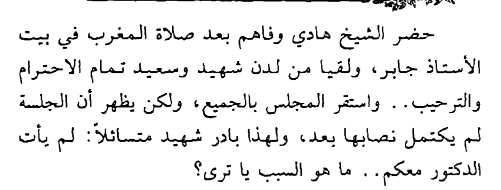
شهيد: أحسنت، فإن القرآن هو الشفيع الأكبر يوم القيامة، ولكن قل لي أيهما أفضل الكتب أم التلفاز.

سعيد: بالطبع الكتب هي الأفضل، لقد كنت مخطئاً فيما سبق.

شهيد: على أي حال، هل ستكون حاضراً جلسة هذا اليوم؟

سعيد: نعم، بكل تأكيد.

*****



الحوارية الثالثة

حضر الشيخ هادي وفاهم بعد صلاة المغرب في بيت الأستاذ جابر، ولقيا من لدن شهيد وسعيد تمام الاحترام والترحيب.. واستقر المجلس بالجميع، ولكن يظهر أن الجلسة لم يكتمل نصابها بعد، ولهذا بادر شهيد متسائلاً: لم يأت الدكتور معكم.. ما هو السبب يا ترى؟

الشيخ: الغائب عذره معه، ولكنه يأتي إن شاء الله، فقد وصل الدور إليه كما تعلمون.

فاهم: على فكرة، كنت قبل يومين أقلب صفحات كتاب ((الحب والطبيعة)) لبول ريبو، وقد أعجبتني هذه الكلمات حول موضوع العادة السرية، فنقلتها لكم.

شهيد: هات ما عندكم يا فاهم:

فاهم: ((ما أفظع أن يحتلب الإنسان بيده وأن يستمني كلما عنّ له ذلك!!!

فإنه إن فعل ذلك رئي مضطرباً في مشيته، محني الظهر، قد خرج من فتوته وشبابه باختياره. إذ يعتريه الصداع والخور،

والزهق من الحياة فيبدو مريضاً قد حمل يداً مجرمة تؤدي الى الضيق والسويداء. أعرف ساعاتياً يتمتع بصحة جيدة ونشاط، ويمرح بشباب متوثب، قد أخذ يكرر هذه العملية بشغف الى أن صار يعيدها ثماني مرات في اليوم!!! فاعترته ارتجافات عصبية، واهتزازات ذهنية. وانتفخت رقبته بشكل غريب، ووصل الى حالة خاف معها الموت، لأنه قاسى آلاماً لم يكن ليئن معها أنيناً بل كان يصرخ كالكلب الكليب...

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله، أكمل يا فاهم هذه المأساة.

فاهم: ثم امتنع عن الطعام، وبح صوته، وانطفأت الحياة من جبينه، ولم ينفع حالته الندم ولا تبكيت الضمير. وقد ارتمى على الأرض شاحباً قذراً تفوح منه رائحة النتن، وكان المخاط يسيل من أنفه، واللعب من فمه وأخيراً أصيب بالإسهال، فصار يقضي حاجته في سريره فضلاً عن أن عينه قد رمدتا وانطفأ سناؤهما. وقلت سرعة نبضه، وتورمت قدماه، وتغير شكل جسمه نهائياً! فعلى فتياننا أن يتنبهوا إلى التلف الذي يحيق بالشباب من جراء هذه العادة المنحطة التي تقيد الشباب بالأغلال. وأن مثل هذا الساعاتي ليؤثر في

النفس. . . . . فأعينوا أنفسكم!))[1].

كان سعيد مطأطأ الرأس وهو يستمع الى هذه الكلمات، ولم يرفع صوته إلا على صوت رنين الجرس الذي رن مع آخر كلمة قالها فاهم.

ذهب سعيد ليفتح الباب فكان الدكتور مصطفى على الباب.

جلس الدكتور بين أصدقائه، وقد أبدى شديد اعتذاره منهم بسبب تأخره عن موعد هذه الليلة.

شهيد: معذور إن شاء الله، ولكن ما هو سبب تأخيرك يا دكتور؟

الدكتور: لقد عرضت عليَّ حالة شاب في الثانية والعشرين من عمره، وقد بدأ غائر العينين، ضعيف النظر، هزيل الجسم، تهيمن على بدنه رعشة، ترتجف قدمه اليسرى، ويشعر بتنميل في الساقين، وهو مكتئب، يميل الى الانفراد، كسول يلازم الصمت.

الشيخ: ما هي حالته بالضبط؟ وماذا فعلت له؟

الدكتور: طلبت من والده أن يغادر غرفة المعاينة، وانفردت

(١) الحب والطبيعة لبول ريبو ص٣٧ نقلاً عن كتاب العادة السرية.

بالفتى، وسألته هل تمارس العادة السرية؟ فأنكر في البدء ولكن بعد الإصرار على معرفة الحقيقة اعترف لي بأنه يمارس هذه العادة، واعترف بأنه صاحب الرسالة[1] التي أبرقت إليَّ قبل ستة أشهر.

شهيد: وما هو مضمون هذه الرسالة؟.

الدكتور: هذا هو مضمونها:

((أريد أن أبكي دماً ولكن دموعي جفت من كثرة البكاء وأهدابي قتلها الظمأ.

أريد أن أصرخ ولكن الحسرات تكسرت في صدري..

أريد أن أفكر ولكن بأي شيء؟ وبأي عاقبة؟

أيبقى عقل في مثل هذه المشاكل والصعوبات؟!

مسكين، وحيد، تائه، حيران، خائف مما أنا فيه ومما سألاقيه، متنفر من هذا المحيط الملوث بالفساد.

أنا في الحادية والعشرين من عمري، أمضيت عشر سنوات من أحسن وأجمل أيام عمري وحيداً، مشاكل الحياة وصعوباتها، ألوان المجتمع الفاسدة كل هذه تحز في نفسي وتؤلمني كثيراً.

---

(١) هذه الرسالة واقعية ذكرها الشيخ ناصر مكارم في كتابه مشاكل الشباب الجنسية وامتنع عن ذكر مرسلها.

لا أعلم كيف حدث وماذا حدث، فقبل عدة سنوات، وبدون إرادة مني تعرفت على عادة خبيثة مشؤومة عندما كنت أطالع كتاباً، وانتهى ذلك الوقت ولم ينبهني أحد إلى خطورة مرحلة الشباب وحساسيتها !

كانت تهيجني قدود النساء والبنات العاريات اللاتي كن يحترقن بنار الشهوة والهوس.

نعم وقد تعودت، فجسمي الآن مريض وروحي مريضة أيضاً وأنا أخطو الآن نحو دائرة الجنون الخطوة تلو الأخرى.

اسمحوا لي على إطالة الرسالة، إن هذا الأنين والاستغاثة التي توجع أسماعكم ليست مني فقط، أنا أعلم أن الكثير من الشباب مساكين مثلي.

لا أخفي عليكم فقد أقدمت على الانتحار في سن السابعة عشرة مرتين ولكن لم يسمحوا لنا ـ نحن مساكين ـ حتى بالموت!

أنا الآن ضعيف جداً، وقبل مدة قصيرة ـ مع إكمال الاعتذار– أخذت تخرج مني قطرات الدفع بدون إرادتي! . . .

أنا الآن في خضم أمواج الموت تتلاعب بي وتتقاذفني، فترميني الى هذا الطرف مرة وإلى ذلك أخرى وربما قذفتني الى طرف الفناء! . . . . .

أرجو منكم أن تنقذوني وتخلصوني وأريد منكم أن تتلطفوا عليّ بالجواب السريع كما وإني أطلب من الله تعالى التوفيق)).

س - د

فاهم: المشكلة إن البعض يدعي أنها حالة طبيعية كسائر أنشطة الجسم الأخرى !

الدكتور: لا يمكن أن يكون هذا الكلام صحيحاً بالمرة، فإن الأخلاق الفاضلة والشرع المبين يرفض هذا اللون من النشاط المنحرف، وكذلك يا إخوتي نجد الحقل الطبي والخبراء في هذا المجال يمنعون ذلك ويحذرون منه، يقول جيبون:

((الاستمناء باليد طريقة للذة العابرة، وإذا استمر الأخذ بهذا التمرين الضال فستصبح الإنسانية غير طبيعية))[1].

سعيد: ولكنكم تبالغون في وصف العادة السرية وكأنها أم الخراب والدمار الذي تعيشه الإنسانية!

الدكتور: أتدري يا سعيد ماذا يقول رافيليه؟!

سعيد: ماذا يقول؟

الدكتور: يقول رافيليه:

---

(١) الحب والطبيعة لبول ريبو نقلاً عن كتاب العادة السرية.

((إنها أشنع وأكثر تدميراً للمدنية من الطاعون والجدري والحرب وسائر الضربات التي يمكن أن توجه للإنسانية))[1].

الشيخ: وأضيف على جواب الدكتور يا سعيد، ما قاله علي محمد علي دخيل في مقدمة كتابه العادة السرية:

((أحسب أن الانهيار الأخلاقي الذي تعانيه الأمة الإسلامية هو أخطر شيء تعانيه اليوم وكل خطر اقتصادي أو عسكري فهو دونه. وإننا ما أوتينا إلا من قبل أخلاقنا. وما سقوط الأخلاق بأهون من سقوط المسلمين في أيدي الكافرين)).

فاهم: فعلاً فهذا الشاعر يقول:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

سعيد: ولكن قرأت في ما مضى لبعض الأطباء يقولون بأنها غير ضارة.

ضحك الدكتور حتى بدت نواجذه، بينما خيم الفشل والخجل على تقاسيم وجه سعيد، فأردف الدكتور قائلاً:

هل تحسب يا سعيد أن جميع الأطباء مطلعون على حقائق الأمور؟!

سعيد: لا أفهم ماذا تقول.

---

(١) العادة السرية عند النساء والرجال لمحمد فائق الجوهري نقلاً عن كتاب العادة السرية.

الدكتور: يا أخي إن من يقول ذلك تجده لم يطالع جوانب المسألة حتى أوقع الشباب في فخ هذه العادة الوبيلة، وسأنقل لك كلام الأطباء المطلعين العارفين بأبعاد هذه المشكلة الجنسية:

((إن الأطباء الذين يقولون بعدم إضرار هذه العادة غفلوا عن نقطة أساسية في هذه المسألة: وهو أن هذا العمل بالمشاهدات الكثيرة وباعتراف من المصابين يشجع صاحبه على إجرائه بكثرة وعلى مواصلته والاستمرار عليه))[1] .... فماذا تكون النتيجة؟

الجميع: ماذا يا دكتور؟

الدكتور: إن استعمال المادة المخدرة مرة واحدة في اليوم قد لا يؤدي إلى أي ضرر، ولكن العادة السرية تخضع الممارس لها عبداً ذليلاً، يجيبها كلما تناديه، حتى يضمر شبابه، وتشيخ روحه وتشل قواه، وتذبل مزاياه، ولا تقنع العادة بهذا الحد حتى تقضم عمره، وتحنطه برائحتها المنتنة، وتوسده في لحد جنسه!!!

الجميع: أعاذنا الله من ذلك.

وهنا يحاول سعيد أن يكر كرة باهتة اللون لا

---

(١) مشاكل الشباب الجنسية للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ص٩٠ ـ٩١.

تحمل من العمق شيئاً فهي أكثر فشلاً من سابقتها.

سعيد: إذاً فالأضرار لا تعود إلا على صاحبها، وليس لها مساس بالحياة الاجتماعية العامة.

الدكتور: (بغضب): سبحان الله..... إن كثيراً من التصرفات الفردية لها انعكاساتها السلبية على أمن المجتمع ورخائه، والعادة السرية من هكذا قبيل، وقد ذكرت لك قبل قليل قول رافيليه، وأذكر لك قول ((برداخ)):

((إنها خيانة على النوع الإنساني))[1]

ويقول الدكتور فرنك:

((يعتبر مرتكب العادة السرية عالة على الهيئة الاجتماعية لا لأنهم لا يمكن أن يفيدوها بل لأنهم ليعودون عليها بالضرر))[2].

سعيد: ولكن هل نسوي بين مرتكب العادة السرية وبين من يسرق المجتمع ويعتدي على المجتمع ويعبث بأمن المجتمع؟!

---

(١) العادة السرية عند النساء والرجال لمحمد فائق الجوهري ص٤٢٩. نقلاً عن كتاب العادة السرية.

(٢) المصدر السابق.

الدكتور (ينفعل كثيراً): ومن قال لك إن مرتكب هذه العادة ليس بسارق وليس بمعتدي وليس بعابث وليس.....

تصور مجتمعاً كله يمارس هذه العادة، كيف يكون لونه، وماذا يكون قوامه؟ ألا يكون هزيلاً، منحطاً متعباً...

الشيخ: (على الفور): ألا يكون مغضباً لله، ألا يكون أضحوكة الشيطان والأبالسة، ألا يكون خائناً للمنصب الذي شغله (خلافة السماء)، ألا يكون ملقياً نفسه في حمام الموت ((ولا تلقوا بأيديكم في التهلكة)).

فاهم: إنه يشم أنفاس الموت وإن كانت عينيه مفتوحتين، قد هبط في سلم الإنسانية إلى أسفل السافلين!

وهنا يواصل الدكتور الكلام بنفس منفعلة:

إن مرتكب العادة السرية يسرق قواه ويقتل نفسه وبالتالي فهو يسرق أحد أفراد المجتمع وهو يسرق لبنة من البناء الإجتماعي الكبير ويرضها بيده العابثتين، فإذا أقدم كل أبناء المجتمع على هذا الفعل انهار البناء بأجمعه... نعم إن مرتكب هذه العادة مجرم بحق نفسه ومجتمعه...

يقول الدكتور فرنك:

((كل من يثبت عليه هذا الفعل يجب أن يوضع تحت المراقبة أسوة بسائر المجرمين))[1].

ظلل جناح الصمت فضاء الصالة، وبدا كل شيء ساكن لا حراك فيه، وأخذ شهيد يمعن النظر في وجوه الجالسين فرداً فرداً، لقد شعر شهيد بضرورة استمرار هذه الحوارية المثيرة النافعة ولكن كيف السبيل والألسن عقدت والجلسة دنت من حالة الاحتضار؟!

ولكن سرعان ما أدرك شهيد ماء الحياة الذي به ينفخ الروح من جديد في شرايين حوارية هذه الليلة... فناولهم هذه الساقية

شهيد: نوروا قلوبكم بالصلاة على محمد وآل محمد

الجميع: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد

شهيد: على حب الحسن والحسين ثانية تؤجرون.

الجميع: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد.

شهيد: على حب قطيع الكفين أبي الفضل العباس بأعلى أصواتكم.

---

(١) المصدر السابق.

الجميع: (بصوت قوي): اللهم صلِّ على محمد وآل محمد

الشيخ: أحسنت يا شهيد.

لقد انبجست العيون وانهمر الماء الزلال فاخضرت القلوب وابتلت عروقها وذهب ظمؤها، وعاد الدم في شرايين حواريتهم المباركة بفضل الصلاة على محمد وآل محمد التي تحيي القلوب وتميت النفاق، كما جاء في الأخبار الصحيحة.

شهيد(من أجل استمرار الحوارية): ما رأيك يا دكتور بمن يقول: إن كبت المشاعر الجنسية يؤثر على الحالة النفسية بالنسبة لغير المتزوجين؟

الدكتور: جاء في كتاب (الاتحاد الجنسي) وهو يصف العادة السرية:

((وهذا التصرف ينافي الطبيعة، ولا يمكن لحجة علمية أن تبرره، وبالعكس يثبت العلم أن الامتناع عن النشاط الجنسي قبل الزواج أمر عادي غير مضر بالصحة بتاتاً.....))[١].

فاهم: بصفتك طبيباً نفسانياً يا دكتور، ما هي الأسباب

---

(١) نقلاً عن الكتاب السرية ص٢٧.

المؤدية الى حصول هذه العادة لدى المستمنين؟

الدكتور: أسباب عديدة:

الأول: المرض النفسي:

يقول الطبيب شابل:

((إن الاستمناء باليد لا يسبب المرض، وإنما هو مرض يقود إلى هذه العادة. لا يمرض لأنه فعل، بل يفعل لأنه مريض)). [١]

الثاني: **كونه مصاباً بالهستيريا:**

يقول الدكتور جون ايف:

((فالإفراط بالاستمناء والاستمرار عليه هو على الأغلب مظهر من الاضطراب النفسي بدلاً من أن يكون سبباً له، فالعادة السرية شائعة بين المصابين بالهستيريا المرض الذي يصيب الأشخاص العاطفيين جداً)) [٢]..

الثالث: ضعف الإرادة لدى المستمني:

تقول السيدة سوكو الفرنسية:

(١) الحب والطبيعة لبول ريبو نقلاً عن كتاب العادة السرية.

(٢) صرخات جنسية للدكتور اسماعيل ناجي، نقلاً عن المصدر السابق.

((لا يستسلم لها إلا ضعفاء الإرادة، فهي كمضاجعة البغي ليست طبيعية، ولا تتحقق فيها الغاية الجنسية))[1].

فاهم: بقي سؤال مهم يا دكتور.

الدكتور: ما هو؟

فاهم: ما هي الأضرار الناجمة عن هذه العادة السيئة، وما هي المساوئ الصحيحة التي تخلفها في الفرد؟

الدكتور: حقاً إنها ـ أفعى الشباب ـ، نعم فإن الأخطار التي تسببها العادة السرية لا يمكن تغافلها وغض النظر عنها فإن الإدمان عليها يؤذن بالشقاء.. فاسمعوا ما يترتب على الإفراط بممارستها:

١- الصداع والعمى:

يقول الطبيب الروماني ايسوس:

((إن العادة السرية تضعف الجسم فيهزل.... ولا تكون النتيجة غير الصداع أو العمى أو غير ذلك من الآلام والأمراض))[2].

٢- الجنون والأمراض العقلية

(١) الحب والطبيعة لبول ريبو ص٣٨، نقلاً عن كتاب العادة السرية.

(٢) الشهوة الجنسية للدكتور ماري ستوب هنري، نقلاً عن المصدر السابق.

يقول الدكتور شاكر الخوري:

((يتسبب عن الاستمناء جميع الأمراض العقلية))[1].

شهيد: كل ذلك تسببه هذه العادة الشيطانية !!

الدكتور: نعم يا شهيد فهي تسبب: خمول الفكر وشدة النسيان وشرود الذهن، وضعف قابلية الفرد على التصور، وضعف الذاكرة والبلادة فالجنون الجزئي، فالجنون الكلي ـ نستجير بالله .

٣- السيلان:

وهو خروج المني تلقائياً وعدم إمكانية حبسه، يقول الدكتور بياترا:

((من الأمارات ذات الدلالة على تحكم الشهوات بالمراهق. واستسلامه الى العادة السرية السيلان أي خروج السائل المنوي من تلقائه. أو بمجرد انتصاب القضيب بتأثير عامل من العوامل، وفي ذلك ما فيه تبديد لماء الحياة مما يجعل الفتى المراهق عرضة لأشد الأمراض فتكاً))[2]. .

---

(١) تحفة الراغب للدكتور شاكر الخوري ص٣٨، نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) الطب في خدمة الحب للدكتور بياترا ص٣٢ نقلاً عن المصدر السابق.

ويقول الدكتور بياترا أيضاً:

((ويرد الإختصاصيون تسعين بالمئة من حالات الارتخاء والسيلان المنوي الى تحكم العادة السرية واستفحال شأنها))[1].

ويقول أيضاً:

((أما إذا أهمل السيلان فإنه يؤدي الى اضمحلال القوى وكثيراً ما يفضي بالمصاب إلى العنة المبكرة))[2].

٤- العنة:

جاء في كتاب ((الحقيقة الجنسية)):

((عادة الاستمناء باليد، وهي عادة غالباً ما يلجأ إليها المراهقون فتملكهم ولا يستطيعون الإقلاع عنها طوال مدة عزوبتهم. وكثيرون يشكون من العنة ولا يعرفون أن سببها يعود إلى تعودهم الاستمناء باليد))[3].

٥- فقر الدم (الأنيميا): لقلة حصول غذاء الدم ونقصان مادته.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحقيقة الجنسية عند الرجل والمرأة ص٩٦ نقلاً عن كتاب العادة السرية.

٦- ضعف واضطراب الجهاز الهضمي:

وربما انعدام الهضم بصورة تامة عند التمادي في هذه العادة، فيتدرج أولاً بفقد الشهية ثم الى فقد الهاضمة ثم يقل امتصاص خلاصة الطعام من المعدة ثم حصول الاضطرابات المعدية ثم عسر هضم وإسهال وإمساك.

٧- الأمراض التناسلية:

تسبب العادة السرية ضعف الجهاز التناسلي بصورة عامة، شعور بالألم في المثانة، حرقة عند البول، زيادة في إفراز الغدد التناسلية، تأخر النمو في الذرية بعد الزواج.

٨- ضعف الجسم:

فيلاحظ اصفرار الوجه، وفقدان البشرة رونقها، وهزالة الجسم، وبطء الحركة، وانكماش جلد الأصابع، واستطالة الوجه وعدم تدويره، حصول هالة زرقاء تحت عينه، ارتعاش في اليدين، وضعف في الركبتين، الشعور بالتعب لممارسة أدنى جهد، انتهاك قوى العضلات، هزال العظام فلا يقوى على المشي والجري بنشاط.

٩- السل الرئوي والربو.

١٠- داء بوط (وهو تسوس العامود الفقري).

١١- الصداع.

وغيرها من الأضرار التي تزعج الأسماع النظيفة عند ذكرها.

شهيد: أحسنت يا دكتور.

الدكتور: أحسن الله إليك.

فاهم: وما هي الآثار السلبية لهذه العادة على شخصية مرتكبها في الأوساط الاجتماعية؟

الدكتور: سؤال جيد، هناك أضرار أخرى يجدها الفرد الممارس للعادة السرية في حياته الاجتماعية، وهذه الأضرار هي:

أولاً: تذهب بلذة الجماع بعد الزواج:

يقول الدكتور بياترا:

((ناهيك بصيرورته(المستمني) سريع الإنزال كلما باشر الفعل الجسدي، وهو عيب في الرجل لا تستقيم معه الحياة الزوجية. وقد يؤدي في الغالب إلى انفصام عرى الزواج))[١].

ويقول عبد العزيز القوصي:

((وهذا يجعل من يمارس العادة السرية بكثرة

---

(١) الطب في خدمة الحب للدكتور بياترا ، نقلاً عن المصدر السابق.

قليل القدرة بعد زواجه على الاتصال الجنسي الطبيعي وذلك لسبق تعوده ممارسة هذه المسألة الجنسية في جو يختلف اختلافاً جوهرياً عن الجو الطبيعي سواء في خصائصه المحلية أو العامة))[1].

ثانياً: تسلب نضارة الفرد وتطفئ نور شبابه:

يقول الأستاذ كرافت ايبينج:

((إنها - أي العادة السرية - تنتزع الرائحة والجمال من البرعم الذي كان ينبغي أن يتفتح عن زهرة الناضرة وتخلف وراءها عقولاً سقيمة. وغريزة حيوانية تسعى للرضاء الجنسي))[2].

ثالثاً: فقدان الشخصية في المحافل الاجتماعية:

يقول الدكتور بوغارس هنري والدكتورة ماري أستوب:

((إرادته تضعف كثيراً وتنحل شخصيته ويغدو إنساناً قلقاً مريضاً في أحاسيسه، مضطرباً، خائفاً، جباناً لا يستطيع المقاومة))[3].

رابعاً: تفقد الشخص رجولته:

---

(١) أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصي، نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) الجنون الخلقي عند الجنسين لشارل ص١٣٧، نقلاً عن المصدر السابق.

(٣) الشهوة الجنسية لماري وهنري ص٥٧، نقلاً عن المصدر السابق.

يقول الباحث الاجتماعي كلمانس:

((فإذا ما أخل الفتى بنظام هذه القوى أي القوى الجنسية - وعبث بها، وأساء استعمالها فإنه يقترف ذنباً يجب أن يعترف به في منبر التوبة قائلاً: إنه أخطأ ضد الطهارة، أي أنه هيج أعضاءه وأثارها مستلذة فسال منها السائل المنوي ضائعاً، إنها العادة السرية أخذت تعبث في منابع الرجولية فساداً لقد سعى ذلك الفتى وراء اللذة ـ تلك اللذة التي سرعان ما تنقلب قرفاً ـ فأخذ يبدد قوى للجسم ليس بغنى عنها لاستكمال نموه واشتداده))[١].

خامساً: اتصاف صاحبها بالتردد والارتباك مع الأهل والأصدقاء وخاصة في المحافل النسائية.

سادساً: اتصافه كذلك بالكآبة والانعزالية عن المحافل العامة.

شهيد: أحسنت يا دكتور، والآن يا شيخ هل لك أن تحدثنا عن المساوئ الأخلاقية التي تخلفها العادة السرية؟

الشيخ: هناك عدة مساوئ وأضرار على المستوى الأخلاقي للفرد الممارس لهذه العادة أذكر منها:

---

(١) الحقيقة عن الشؤون الجنسية لكليمانس، نقلاً عن المصدر السابق.

أولاً: الانحراف عن الفطرة والطريق السليم في تنمية الإستعدادات النفسية والجنسية. يقول الأستاذ عبد المنعم الزيادي واصفاً الاستمناء ((**علامة على الانحراف عن طريقة التطور النفسي الجنسي**))[1].

ثانياً: هي بمثابة بيع الروح بثمن زهيد، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

((**ليس لأبدانكم ثمن فلا تبيعوها إلا بالجنة**))..

فإن الشخص الذي يقدم على العادة السرية مع كل هذه الأضرار التي سمعناها من الدكتور مصطفى لا يمكن أن يكون عاقلاً بل يعد قاتلاً لنفسه وهو أمر محرم بطبيعة الحال:

((**من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**)).

يقول الدكتور محمد الخليلي:

((**لو أردنا بيان كل ما في هذه العادة الشريرة الشائنة من أضرار ومساوئ صحية أو أدبية أو أخلاقية لما استطاع القلم بتحريرها فلقد سماها بعضهم (انتهاك الذات) والآخر (بيع الروح بثمن بخس) وذلك لأنها الفاتكة بالطفل في أحضان أمه ومربيته**

---

(١) حياتك مع الأسرة لعبد المنعم الزيادي ص٤٠، نقلاً عن المصدر السابق.

وبالصبي في المدرسة أو في الأزقة وبالشبان والرجال في عنفوان قواهم، فإن مزاولها كلما فعلها مرة كان كمن خطا إلى الموت خطوة. وبدد أجزاء من حياته وقوته وما مثله إلا كمثل شخص عمد إلى أوعيته الدموية فمزقها أو فتحها ليترف منها مقدار من دمه الذي هو حياته الحقيقية. وهل وراء ذلك إلا تقصير الأجل وقذف النفس تحت براثن الموت المحتم))[1].

ثالثاً: تدني الروح والانغماس بالحيوانية:

يقول الباحث الاجتماعي نقولا الحداد:

((فهي شديدة الأذى لأنها أمر غير طبيعي، يلجأ إليه الإنسان لإحتدام شهوته البهيمية وتجاوزها حد الغريزة الطبيعية ففي إمكان الإنسان أن يخمد هذه النعرة إذا كان يرفع نفسه ولا يخضعها لها، وينزه حياته الروحانية ويقيها من رجاسة الشهوة الحيوانية))[2].

رابعاً: صيرورته عبداً لهذه العادة

ويقول الأستاذ نقولا الحداد أيضاً في كتابه: ((ذكر وأنثى خلقهم)):

((أما الأضرار التي تنجم عن هذه العادة فأولها أنها لا

---

(١) المغريات لمحمد الخليلي ص١٢٨، نقلاً عن كتاب العادة السرية.

(٢) ذكر وأنثى خلقهم لنقولا الحداد، نقلاً عن كتاب العادة السرية.

تطفئ النعرة الحيوانية كما يظن ممارسها بل بالعكس تزيدها استعاراً لأنها لا تشبع الشهوة النفسانية ولا تروي غلة العاطفة، لا ترتوي شهوة النفس بها لأنها ليست الوسيلة الطبيعية التي سن الخالق سنتها، لذلك بعد أن ينتهي المستمني من عمله الدنيء يشعر أنه قد فشل وخاب فأربى أي أنه لم يقض الوطر كما زينته له النفس الشهوانية وصورته في مخيلته. وأطمعت عواطفه به، فلا تلبث شهوته أن تثور ثانية وتحتدم فيلجأ إلى الطريقة نفسها آملاً أن يطفئ هذا السعير ولكنه لا ينتهي إلا بنفس النتيجة الخبيثة والفشل والحسرة وهكذا دواليك))[1].

كان سعيد خارجاً عن حلبة النقاش، لكنه يستمع بشغف شديد، وقد أخذت اللوعة مجامع فؤاده من هول ما سمع على لسان الدكتور والشيخ، وبدت علامات الندم تشع من جبهته وجبينه، وقد نفذت الألفاظ التي عنده فترك النقاش ومال الى الصمت وإجالة ما يقولونه في ذهنه، وكان لسان حاله هيا.... صفوا لنا العلاج ماذا تنتظرون؟!

أما شهيد فكان يحدق النظر في وجه سعيد ويقرأ ما يطفو على سطحه من كلمات فأدرك رغبة سعيد وما يطمح إليه، فاستغل الفرصة ملتفتاً إلى الدكتور ومخاطباً إياه:

---

(١) المصدر السابق.

إلى هنا نجد الكلام كافياً وشافياً ومحيطاً بأسرار العادة السرية وبواعثها وأعراضها، ومساوئها وأضرارها والآن حان حين الكلام حول طرق الوقاية والعلاج من هذا الداء العضال وكسر طوقها والتحرر من قيودها.

الدكتور: أحسنت يا شهيد، إن مسألة الإقلاع عن هذه العادة مسألة بيد نفس هذا الشخص المدمن، ولكن بشرط أن يهيئ البساط والأرضية للعلاج، فإذا نجح الفرد في مد هذا البساط أمكنه بعد ذلك أن يتناول العلاج.

فاهم: (بابتسامة): لا تتكلم بالألغاز يا دكتور، ماذا تقصد بالبساط والأرضية؟

الدكتور: الأرضية هي التصميم الراسخ، وتلقين النفس على انها قادرة ـ بإذن الله على ترك هذه العادة الوبيئة، وهذا التصميم الجدي عامل مهم وأساسي يدفع الفرد ـ في ظل العلاج - الى التخلص من أسر هذه العادة، إذاً قبل كل شيء لا بد من التصميم الدائم وشحن النفس بالهمة والإرادة على ترك هذه الظاهرة المحرمة والمضرة.

شهيد: ولكن البعض يدعي أن سلطان العادة قد قهر النفس وتحكم بها، فلا مناص من التخلص من أسره وقيوده.

الشيخ: من رخصة الدكتور أود أن أسال سؤالاً.

الدكتور: تفضل مولاي

الشيخ: إننا لو سألنا هؤلاء هل بإمكانكم أن تجربوا هذه الحماقة - العادة السرية - أمام الأب والأم والإخوة والأقارب؟

الدكتور: طبعاً سيكون جوابهم لا يمكننا ذلك.

الشيخ: فما هو السبب يا ترى في عدم التمكن من ممارسة العادة السرية إلا في سرية بعيداً عن أعين المجتمع؟

الدكتور: الخجل يا شيخ.

الشيخ: إذاً هم يملكون الإرادة، والدليل على ذلك أنهم يستعملون جانباً من هذه الإرادة لكبح جماح النفس لدى الرغبة في ممارستها أمام المجتمع، فلو كانوا مسلوبي الإرادة تماماً - كما يدعون - لمارسوا هذه العادة في كل زمان ومكان حتى أمام الأب والأم والأقارب.

شهيد: ما هو ملخص الكلام يا شيخ؟

الشيخ: أريد أن أقول بأنه ينبغي لهؤلاء أن يسحبوا هذه الإرادة الموجودة في نفوسهم إلى أماكن السر والانزواء ويقفوا هناك في وجه نداء هذه العادة ويجتنبوا إطاعتها ويقووا من إرادتهم ويجعلونها

الحاكمة في كل مكان.

الدكتور: كلام لطيف يا شيخ.

الشيخ: نعم، فقد سأل أحدهم الإمام الصادقعليه السلام قائلاً: **﴿مسكين فلان فقد ابتلى بإنحراف جنس- من نوع آخر غير هذه العادة - ولا إرادة له﴾**.

فأجابه الإمام غاضباً: ماذا تقول، هل هو مستعد لإجراء هذا العمل أمام الناس؟!

فقال الرجل: كلا.

فقال الإمامعليه السلام: فقد علم بأن إجراءه باختياره وإرادته.

إذاً كما قال الدكتور مصطفى التصميم الجدي هو المرقاة الأولى في طريق ترك هذه العادة، ((فإذا عزمت فتوكل على الله)).

شهيد: طيب الله أنفاسك يا شيخ، وماذا لو انتهى هذا التصميم بالفشل يا دكتور؟

الدكتور: قبل كل شيء لا بد أن نفهم أن التصميم وإن كان قد فشل أول مرة، ولكنه في الحقيقة سبب وترك آثاراً للنجاح الآتي، وذلك لأن نفس هذا التصميم الفاشل سيجعل الفرد يرى المعركة التي دارت رحاها بين نفسه وبين العادة، ويرى مواطن الضعف في

نفسه، ويدعوه هذا التصميم الفاشل الى تصميم آخر، إذاً نفس هذا التصميم الفاشل هو مقدمة لتصميم ناجح، حتى لو كان هذا الأخير هو التصميم الثالث أو الرابع أو الخامس مثلاً، لأن كل تصميم يترك آثاره التي تتراكم لتنتج العزم الأخير على عدم العودة إلى أحضان هذه الآفة الجنسية.

شهيد: وبعد الإرادة والتصميم، كيف يكون العلاج؟

الدكتور: كنت قد ذكرت لك أن المريض بهذه العادة لا بد أن يحضر ويجهز الأرضية والتي هي الحزم والعزم والتصميم القاطع بترك هذه العادة، وأن يقنع نفسه بأنه قادر على نبذ هذه الحالة وهجرها إلى الأبد، فإذا كان ذلك وجب متابعة هذه الخطوات:

الأولى: اجتناب الإثارة الجنسية.

إن انتشار أساليب الإثارة والإغراء هو الذي أدى إلى انتشار هذه العادة في الأوساط الشبابية إذ تكون العادة عندهم كالجمر تحت الرماد سرعان ما يتوهج ناراً إذا ما صافحها ريح النسيم. ومصادر الإثارة والإغراء عديدة، منها: مشاهدة الصور الخلاعية، والمجلات الفاضحة ومتابعة الأفلام الساقطة، والانشداد الى الشاشة الماجنة، ومطالعة روايات

العشق والقصص الغرامية، والنظر الى النساء في الطرق والأسواق، والتفكير في القضايا الجنسية والنساء. وينبغي للفرد تجنب الملابس الضيقة وخاصةً الداخلية منها.

الثانية: اللجوء الى عادة مباحة ونافعة.

فإن علماء النفس يقولون: لأجل ترك عادة سيئة يجب التعود على عادة حسنة فمثلاً يعود الفرد نفسه على هوايات صحيحة وعقلانية ومفيدة، كالرسم، والخط، والتنزه والمشي في الهواء الطلق، أو المشي إلى مسجد بعيد نسبياً أو مرقد مبارك، وكذلك مطالعة الكتب الثقافية والدينية، أو كتابة قصة أو بحث معين أو مقال، أو إجراء أنشطة اجتماعية كمسابقة علمية أو فكرية، أو محاولة ممارسة أو تعلم صنعة أو حرفة نافعة، أو تربية أشجار الزينة والزهور، أو تربية الحيوانات... ونحو ذلك فإن ذلك يخلف عادة جديدة محل العادة السابقة الذميمة.

الثالثة: ملء وقت الفراغ.

من الخطأ أن يهمل الفرد وقتاً معيناً من يومه بحيث يتركه خالياً من دون عمل مسلي ومنتج، لأن

وجود الفراغ يبعث في نفس الفرد التفكير بالحاجة البيولوجية الى الجنس، ولهذا نجد يا إخوة أن المدخنين في أيام التعطيل والجمع يرتفع مستوى التدخين لديهم مقارنة بأيام الانشغال في الأعمال، لانصراف الذهن عن التدخين، وهكذا نجد انصراف الذهن الى أكثر وأقرب عادة كان يمارسها بمجرد أن يجد نفسه في فراغ من أمره أو في حالة انزواء عن المجتمع. . .يقول الدكتور عبد العزيز القوصي:

((ويلاحظ إن أكثر النشء ميلاً إلى ممارسة العادة السرية هم أكثرهم شقاءً، وأكثرهم فراغاً، وأكثرهم عجزاً عن ملء فراغهم بإنتاج يجلب احترامهم لأنفسهم واحترام غيرهم لهم. . . . .))[1].

الشيخ: مع أهمية التذكير ـ يا دكتور ـ بأن المؤمن الحقيقي: لا تجد فراغاً لديه مطلقاً ما دام يشعر أن هناك عقبات كؤودة في عالم القبر والآخرة تنتظره، فعلى الإنسان أن يتصرف بهذه المنحة السماوية ـ العمر ـ تصرفاً لا يندم عليه عند طي صفحة حياته، فإن قيمة الفرد بالآخرة منوطة بعمله في الدنيا فقد ورد في

---

(١) أسس الصحة النفسية ص٤٨٨ نقلاً عن كتاب العادة السرية.

الروايات((إنما أنت أيامك)) ونحن نعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، فالمفروض أن يملأ الفرد قدح العمر بالأعمال الصالحة والطيبة، لكي لا يؤتى به في يوم القيامة فارغاً عن كل ذلك، أو يؤتى به مهشماً على رصيف اللهو والبطالة والتسكع والأمور غير المنتجة التي لا هدفية فيها **((حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه))**.

الجميع: أحسنت يا شيخ وطيب الله أنفاسك.

يعود الدكتور لإتمام كلامه:

الرابعة: مخالطة الآخرين وترك الانزواء.

الوحدة والانفراد بالنفس يعد جواً مساعداً إلى هذه العادة الممقوتة، فعلى الشخص المبتلى بهذه العادة أن يجتنب الوحدة والعزلة بأي طريقة متاحة، فيتجنب الجلوس في غرفة لوحده، أو المشي في طريق بمفرده، فالاندكاك في جسم المجتمع والاندماج مع الآخرين، والتواجد بين أفراد العائلة والأصدقاء الطيبين، كل ذلك يقلل من ممارسة هذه العادة، لأن من أهم خصائصها الخطيرة هي السرية وعدم توقف فعلها على طرف ثاني كما في الزنى، فإذا ترك المرء الخلوة من نفسه فإنه يكون قد نجح في إعدام ظرفها الموضوعي وهو (السرية).

الخامسة: عدم الذهاب إلى الفراش إلا لنعاس.

لا يخفى مدى الصلة بين الفراش والحياة الجنسية، فتتأكد الرغبة لدى المعتاد على هذه العادة حينما يكون ملقى على فراشه، لذا فالأجدر عدم الإيواء إلى الفراش إلا عند الشعور بالنعاس والحاجة الملحة للنوم، وإذا استيقظ الفرد في الصباح فالمفروض أن ينهض سريعاً مغادراً لفراشه ويتجنب البقاء متقلباً فيه.

السادسة: ممارسة الرياضة.

الملاحظ على أصحاب العادة السرية أنهم أناس كسالى انزوائيين عن مسرح الحياة، عضلاتهم خامدة، وعليه فلا بد للشباب عموماً، والمبتلين بهذه العادة خصوصاً أن يهتموا بتربية أبدانهم، والسعي لطلب القوة والنشاط، بممارسة بعض الأعمال كترميم البيت، أو تعمير البستان أو ممارسة الركض والسباقات الأخرى أو لعبة كرة القدم،اذا كانت بشكل معقول لا يتعارض مع أوقات العبادة، ومع عدم الذوبان فيها الى درجة الخضوع لها كمعبود كما نشاهد ذلك عند البعض للأسف.

السابعة: هجر أصدقاء السوء.

إنه من الضحالة بمكان إن يعيش الفرد مع طائفة من الشباب منحرفة عن جادة الصواب،فإن هذه الطائفة لن تذكره الا

بما فيه غضب الله وحلول سخطه، ولن تعلمه الا ما يسيء عاقبته، ولن تلقنه إلا السوء والضلال، ولا تلفت انتباهه إلا الى الأفعال الشاذة والأعمال المنحرفة، بخلاف الصديق المؤمن فإن معاشرته تكون باتجاه مرضي لله ونافع للفرد في نفس الوقت.

الشيخ: أحسنت يا دكتور، سأقرأ لكم مقاطع من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي:

(ما لِي كُلَّما قُلْتُ قَدْ صَلُحَتْ سَرِيرَتِي وَقَرُبَ مِنْ مَجالِسِ التَّوابِينَ مَجْلِسِي عَرَضَتْ لِي بَلِيَّةٌ أَزالَتْ قَدَمِي وَحالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ خِدْمَتِكَ سَيِّدِي لَعَلَّكَ عَنْ بابِكَ طَرَدْتَنِي وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخِفّاً بِحَقِّكَ فَأَقْصَيْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرِضاً عَنْكَ فَقَلَيْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقامِ الْكاذِبِينَ فَرَفَضْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ فَحَرَمْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجالِسِ الْعُلَماءِ فَخَذَلْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الْغافِلِينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي آلَفَ مَجالِسَ الْبَطّالِينَ فَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَنِي).

الدكتور: جميل جدا يا شيخ.

الثامنة: الاعتناء بالغذاء والاهتمام بالصحة.

لأن المستنقع الذي تألفه هذه العادة وتعشعش وتنمو فيه

هو الأبدان الضعيفة والنفوس الخائرة، المنكسرة، المتعبة، ولما كان الملاحظ شيوع هذه العادة في مثل هذه الأجسام، تعين إذاً بناء أبدان سليمة وأجسام صحيحة ونفوس قوية.

التاسعة: تلقين النفس واستلهام القناعة.

على الفرد المبتلى بهذه الظاهرة أن يلهم نفسه القناعة بأنه قادر على ترك هذه العادة بسهولة، وإن إرادته ما زالت أقوى من هذه العادة، إن مثل هذا التلقين للنفس وتحريك الإرادة فيها عاملاً مهماً في سعي الإنسان المستمر إلى المرحلة الأخيرة والوصول الى الشوط النهائي وعدم اكتراثه بالممارسات الفاشلة سابقاً.

يقول الدكتور الفرنسي فيكتور بوشه:

((يجب أن يستمروا على التلقين بالشكل التالي، يجب أن يركزوا فكرهم ويرددوا الجملة التالية؛ في كل يوم وفي كل محل هادئ، وفي الوقت الذي لا يكون فكرهم مشغولاً بشيء(أنا أستطيع أن أترك هذه العادة بسهولة أنا أستطيع...))[1].

الشيخ: أحسنت يا دكتور أود أن أذكر النقطة العاشرة.

---

(١) مشاكل الشباب الجنسية للشيخ ناصر مكارم ص١٥٩.

الدكتور: تفضل يا شيخ أفدنا مأجوراً.

العاشرة: تقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى

إن أهم الأسباب التي أوقعت الشباب في مصيدة وشباك هذه العادة، هو الابتعاد عن الله سبحانه وتعالى، وعدم الشعور بوجود الله ومراقبته لنا في الصغيرة والكبيرة، فأنى للفرد الذي يشتعر وجود الله وجهود نبيهﷺ ورسالة الإسلام (القرآن)... فأنى له أن يمارس هذه العادة المحرمة، والتي جاءت الروايات تترى في حرمتها، والمعاقبة عليها.

إذاً الرجوع الى الله، والالتزام بالعبادة من صلاة، ومواظبة على قراءة القرآن والإكثار من الأدعية والمناجاة التي خلفها لنا رسول اللهﷺ والمعصومين عليهم السلام، وزيارة المراقد المقدسة في ليالي الجمعة ويومها.. .فكل هذه الأمور تقوي الرابطة مع الله وتضعف العلاقة مع هذه العادة الشنيعة.

الدكتور: أحسنت يا شيخ، فإن الإنسان مفطور على الارتباط الديني والإيمان بالخالق العظيم، وانفصام هذه الرابطة سبب لكثير من الأمراض النفسية، يقول ويليام جيمس:

((إن أشد العقاقير تأثيراً في رفع القلق هو الإيمان بالله والاعتقاد الديني)).

ويقول الدكتور كارل أشهر الأطباء النفسانيين:

((لقد راجعني في طي الثلاثين عاماً الأخيرة أناس من جميع الدول المتمدنة في العالم، وقد عالجت مئات المرضى، ولم يوجد - الدين - بين جميع هؤلاء المرضى، وكان المنجى والمخلص في النصف الثاني من حياتهم ((بعد الخامسة والثلاثين من عمرهم)) هو العثور على العقيدة الدينية في نهاية الأمر - أي المشكلة في هؤلاء نابعة من خلو حياتهم من الدين - ولذا أستطيع القول بكل تأكيد إن كلاً منهم كان قد تمرض لفقدانه ما تهبه الأديان الحية لأتباعها، وإن الذين لم يسترجعوا عقائدهم الدينية لم يوفقوا للعلاج أصلاً)).

الشيخ: وهذا القرآن يخبرنا بذلك:

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

فاهم: أحسنتما . . . أحسنتما، هل بقي شيء يا دكتور فيما يخص طرق علاج هذه العادة؟

الدكتور: نعم، فقد وصل الحديث إلى أهم طرق العلاج. . . .

---

(١) الأحقاف: ١٣ .

العلاج الأخير: الزواج في أقرب فرصة متاحة.

فإن الزواج طريق حصين لعدم انزلاق الفرد في الموارد الجنسية المحرمة، فعند حوضه النقي يرتشف الفرد ما يطفئ لهيب شهوته المحتدمة، ويسكن من شبقه، ويرتوي لظمئه، ولا بد لنا أن نتخلى عن رسوم الزواج المتعارفة، والتي تقع في طريق الزواج وتحول دون بناء العش الهانئ السعيد.. .فإننا متى ما تركنا تشريعات العرف والتي تكون عادة صعبة المنال لدى الشباب، فإن أمر الزواج يكون هيناً ويسيراً ونكون قد قطعنا شوطاً كبيراً في معالجة هذه الحالة لأن باعثها هو الحاجة الجنسية، وهذه الحاجة يحصل عليها الفرد في مخدع الزوجية بيسر وسهولة وفي حالة نفسية مستقرة واطمئنان قلبي كبير.

شهيد: إذاً تنصح يا دكتور بالزواج المبكر.

الدكتور: طبعاً. طبعاً، وهذا هو رأي الشرع أيضاً.. .ماذا تقول يا شيخ؟

الشيخ: نعم، فقد سأل أحد المراجع، في طيات كلام كان يدور حول الزواج، فتعجب المرجع قائلاً: كلا.. . . .بل إن سن العشرين لكثير.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **((إن أمير المؤمنين عليه السلام أتي برجل عبث بذكره. فضرب يده حتى احمرت. ثم زوجه من بيت المال))**[1]

شهيد: ولكن ما الفرق بين إنزال المني عن طريق الجماع مع الزوجة وبين هذه العادة، إذا غضضنا النظر عن التشريع الإلهي الحكيم؟

الدكتور: هناك جملة من الفروق هي:

أولاً: ان الجماع يتكون من طرفين وسوف لن يكون الطرف الآخر ـ الزوجة ـ في كل وقت مستجيبا للجماع بسبب أيام الدورة الشهرية، وفترات الحمل الأخيرة والولادة ومرض الزوجة ونحوها. أما العادة السرية فهي أحادية الطرف، فالفرد يخلو بنفسه ويمكنه أن يفعل عدة مرات وفي كل آن بلا انقطاع، وفي هذا ما فيه من إراقة مادة الحياة وتبذير قوى الفرد خارج حريم الإنسانية النبيلة.

ثانياً: إن سد رمق الشهوة عن طريق الاتصال الجنسي في مخدع الزوجية يوفر للفرد حالة الارتواء الكامل، أما العادة السرية فهي لا تجعله في حالة

---

(١) الاستبصار للشيخ الطوسي ج٣ ص٢٢٦، نقلاً عن كتاب العادة السرية.

إشباع وارتواء كما قد يظن بعض من يمارسها، بل على العكس، فإن هذه الحالة المزعجة -الاستمناء- تجعله في عطش لا حب، وتتأصل هذه العادة وتتجذر أكثر كلما تمادى في ممارستها، حتى يكون قتيل يده وصريع نفسه والميت حتف جنسه!!

ثالثاً: الشعور النفسي لدى الفرد وهو يجامع زوجته شعور نقي.. نظيف.. طاهر. لأن بذور هذه الممارسة الجنسية بذور سماوية إلهية أودعها الله في الفرد، بل وحث عليها، فلا يرى الفرد نفسه في قفص الاتهام والندامة، بل يشعر أنه يمارس التشريع السماوي ويقيم سنة الرسولﷺ: ((**التزويج سنتي فمن رغب عنه فليس مني**)).

أما العادة السرية فإنها تترك صاحبها في حالة سوداوية يلعن فيها نصيبه، ويذم حظه.. يقول أحد أولئك المدمنين على هذه العادة ((فعند النزوة تسلب إرادتي وبعد الفراغ والصحوة لا أملك غير البكاء))[1].

رابعاً: الرغبة إلى الجماع رغبة تماشي الفطرة وتحاكي السليقة وتدعو الى بناء الأسر المتينة وتأليف

---

(١) مشاكل الشباب الجنسية ص٧٦.

المجتمع المتماسك من خلال التناسل الصحيح الذي يماشي أوامر الله، فعن الرسولﷺ: ((**تناكحوا، تناسلوا فإني مباهي بكم الأمم**)).

بينما يشعر الجميع بالوجدان دونية العادة السرية وانحطاط مرتكبها ودناءة فاعلها، وهي حالة بعيدة عن الذوق الإنساني المتسامي لا تجد هواتها إلا أرذال الناس بادي الرأي ولو اتجهت المجتمعات نحوها للزم انهيار النوع الإنساني وانقطاع النسل وصيرورة الأفراد في مصاف الكلاب والقردة والخنازير - نعوذ بالله -.

خامساً: لم يقل قائل يوماً ما بأن الزواج يسبب واحدة من الأعراض والمساوئ والأضرار التي تناولناها في هذه الحوارية، بينما سمعنا، المصائب والويلات التي تخلفها هذه العادة لدى ممارستها.

لقد شعر فاهم ومن معه بانفصال سعيد وركونه على هامش الحوارية حتى صار لا يهمس بحرف قد أعار أذنيه لأفواه الجالسين يسمع ولا ينبس ببنت شفة. فأراد فاهم أن يعيده الى حلبة النقاش فبادر قائلاً:

ها... يا سعيد نراك اعتزلت القوم وما يعملون، ما رأيك بهذه الحوارية؟ نرجو أن تكون قد أحطت بالشيء الكثير والنافع حول هذه العادة.

سعيد (يتكلم بحرارة وصدق): الحمد لله الذي أكرمني

بمعرفتكم، ومنَّ عليَّ بلقائكم وظلل عليَّ غمام رحمته، وعلمني مما علمتم رشداً.

تعجب شهيد وهو يسمع كلمات أخيه سعيد: فإن نبرات صوته تحمل مشاعر صادقة، والكلمات التي أطلقها تحمل في حروفها عطر الحكمة، فكان شهيد يحدث نفسه: لله درك يا سعيد، أنى لك هذا، فعلى سعة مطالعتي لا يمكنني أن أسبك مثل هذا الكلام الرائع الجميل.

الشيخ: الحمد لله، إنك تستحق الكثير يا سعيد.

سعيد: أشكرك كثيراً يا شيخ، ولكن فيما يخص الزواج أقول: بأن التزويج في سن مبكرة يعيق الدراسة يا إخوان.

فاهم: إن الاحتجاج بالدراسة هو رابع الأثافي[1]، فغالباً ما يتذرع الشباب بهذه الأمور

١- الانشغال بالدراسة.

٢- التكاليف الباهظة للزواج.

٣- انتشار مصادر إرواء الغريزة في كل مكان ومجاناً.

---

(١) الأثافي جمع أثفية وهي ما يستند عليه القدر.

٤- عدم العثور على فتاة الأحلام، وكأن الكوكب يخلو من فتاة صالحة للاقتران.

وبالمناسبة، ففيما يخص مسألة الدراسة، قرأت اقتراحاً جميلاً في كتاب مشاكل الشباب الجنسية للشيخ ناصر مكارم، يقول فيه: حبذا لو اختار الطالب فتاة بمشاورة الأهل والأصدقاء المخلصين، فيخطبها ويقوم بإجراء مراسيم العقد الشرعي والقانوني، بدون إجراء لمراسيم الزفاف، ثم بعد التخرج يمكنهما الاقتران السعيد.

سعيد: وما فائدة هذا الزواج المجمد يا فاهم!!!

ابتسم فاهم وهو يستمع لكلمة الزواج المجمد، ثم راح يوضح الأبعاد المهمة لهذا الاقتراح.

فاهم: إن ما يحتاجه الإنسان من الجنس الآخر ليس هو العملية الجنسية فقط كما يتصوره أتباع الشهوات الحيوانية، بل قد لا يفكر الفرد بالشهوة وحاجة الجنس بقدر شعوره بالسكن والمودة والإلفة الناشئة من الاقتران بالجنس الآخر، مع ما تيسره هذه العلاقة من الاستمتاعات الأخرى والفوائد الملموسة.

شهيد: وما هي هذه الفوائد يا فاهم؟

فاهم:

أولاً: يبعث في نفس هذين الزوجين الرغبة والأمل والسرور وهما يشعران بأنهما قطعا شوطاً مهماً في المراحل الأولى لبناء العش السعيد.

ثانياً: وجود العقد الشرعي المبرم بين الطرفين يعد حصانة جيدة إلى حد ما، تدفع عن أهلها الانحرافات الأخلاقية.

ثالثاً: يبعث فيهما روح المسؤولية ويلهب فيهما الجد الدائم والنشاط المستمر والحماس الدؤوب..

رابعاً: تعيين شريكة الحياة في زمن مبكر نسبياً.

فهذه الطريقة الأفضل بطبيعة الحال من انتظار انتهاء الدراسة، ثم التخرج، والحصول على فرصة عمل مثمر، حتى يصل سن أحدنا الخامسة والثلاثين وهو ما يزال لم يعين شريكة الحياة!

سعيد: إن الانفجار السكاني الذي يشهده العالم لا يسمح ولا يشجع على الزواج، ولذا نجد بعض البلدان تحدد الإنجاب بطفل أو طفلين كما في الصين.

فاهم: ليست المشكلة التي نناقشها منحصرة بمسألة النسل والتكاثر البشري، فإن العالم من هذه الناحية في نمو كبير، ولكن إحدى أهم الأمور التي يسببها ترك

الزواج هو خلق أناس اتكاليين وهامشيين في معترك الحياة، كسالى، لا يتمتعون بالحيوية، ضعفاء عن إدارة حياتهم الشخصية، أماتوا الهمة والنبوغ في ريعان شبابهم.

سعيد: هل تعني أن الزواج يحرك الطاقة في نفوس المتزوجين؟

فاهم: نعم بكل تأكيد يا سعيد، فإن الأفراد المتزوجين تجدهم بعد أشهر معدودة من بناء العش الزوجي يعملون بجد ونشاط وحيوية في إدامة الرباط الزوجي المقدس، وحماية المأوى الذهبي من أن تناله يد التحطيم، فهم لا يتوانون لحظة واحدة في العمل الدؤوب من أجل استمرارية الأسرة فتراهم في قوة وجدية ونشاط، ولعل هذا الأمر يكشف لنا مطاوي الحديث الشريف: **((اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم))**. لأن الزوجة تلهم في شخص الزوج الرجولة والمسؤولية التي تدفعه لأن يستثمر كل طاقته الدفينة التي وهبها له الله تبارك وتعالى.

سعيد: ما تقوله صحيح، ولكن البعض يقول: إن الزواج يضيف عبئاً ثقيلاً على كاهل الرجل وهذا واضح من خلال تنصل الكثير من الشباب عن الزواج، فأين

البركات التي ذكرتها والتي هي من إفرازات الرباط الزوجي؟!

فاهم: هذه النظرة الموجودة لدى بعض أبناء المجتمع نظرة سطحية وسقيمة تدل على التحجر العقائدي والالتقاط الفكري من الغرب الكافر، وإلا فإن مسألة الإعراض عن الزواج في حقيقتها تستبطن الأنانية واللامبالاة، وعدم الشعور بالمسؤولية، وحب الدعة والراحة والكسل والرقود، فأي عبء يزعمونه إذا كان الله هو المتكفل برزق الجميع ((نحن نرزقهم وإياكم)) ومن هنا قالوا بأن الرزق توأم الزوجة لأنهما يأتيان سويةً ومقترنين إلى بيت الزوجية.

سعيد: فما هو رأيك بما نعرفه عن أفراد استطاعوا أن يهزوا العالم بأسره مع أنهم لم يقترنوا يوماً بزوجة.

فاهم: نعم صحيح.. لكنهم لم يهزوا العالم لأنهم بلا زوجة، وما يدريك أنهم لو كانوا متزوجين لكان عطاؤهم أكثر نضجاً وجودة ووعياً، ولو سألتهم عن شيء لم يفعلوه في حياتهم وودوا لو فعلوه لأجابوك بلا تردد: الزواج.. ومع ذلك فإننا نتكلم عن الحالة العامة لا قليل من الأفذاذ امتلكوا إرادات صلبة ونفوساً قوية.

ثم إن هؤلاء المعرضين لم يحدثونا يوماً أنهم أعرضوا عن الزواج لأنهم يريدون أن يغيروا ملامح وجه الحياة نحو الكمال والإصلاح لكي نتماشى معهم في أفكارهم ونبرر إعراضهم ونستميحهم عذراً.

الشيخ: إن الأفراد المتزوجين في حالة استقرار تماماً كأصحاب المدن فإن المكث الطويل في بلادهم يبعث بهم نحو إصلاح مساكنهم، وتعمير الأرض التي هم فيها، والإبداع الدائم لتحصيل الرفاهية في العيش (واستعمركم فيها).. بخلاف الصنف الثاني التارك لهذه السنة المباركة ((الزواج)) فإنهم كالبدو الرحل لا يقر لهم قرار فلا يألوا اهتماماً بالبيئة التي يسكنوها ما داموا في رحيل مستمر فتراهم (غير المتزوجين) لا دافع لهم في العيش سوى إشباع غريزة النوم والأكل والشرب والغريزة الجنسية بطرقها الملتوية المنحرفة كالعادة السرية.

سعيد: ولكن الصراحة تقال: إننا ما زلنا في مرحلة الصفر، لم تعد شيئاً للزواج، ولم يترك لنا الأهلون شيئاً نقيم به بناء الحياة الزوجية، ذات التكاليف الباهظة، إن شروط الزواج اليوم في غاية الصعوبة والمجتمع لن يتنازل عنها، فماذا تفعل؟

فاهم: أقول لك ما قاله أحد العلماء:

((الحياة قسمان لا أكثر، ينقضي القسم الأول في حلم القسم الثاني، وينقضي القسم الثاني حسرة على القسم الأول)).

سعيد: لا أفهم ما تقول!

فاهم: يريد أن يقول هذا العالم، بأن الفرد يهدر سنين الشباب في أحلام خيالية طالباً الماء في ثنايا السراب، لأنه ينتظر تحسن الدخل المعاشي، والاستقلال في السكن، وبناء العش الفخم، وهذه الفترة هي فترة الحيرة والتردد، وهي فترة القسم الأول. وبعد أن يصل إلى خيبة الأمل، يسعى حينئذ الى الزواج بعد كلل وملل طويل، وهنا ينظر بعين الحسرة والألم على ما فرط في الأيام الخيالية، وهذه الفترة هي فترة الحسرة والندامة وهي القسم الثاني: إذاً التفكير غير المدروس لتحصيل السعادة الخيالية وأحلام الرفاهية، هو الذي ضيع فرصة الحياة الزوجية المبكرة، والرفاهية الواقعية.

الشيخ: ها نحن في الحوزات العلمية، تجد أحدنا الى جانب الحياة الصعبة والانشداد الى تحصيل العلم، إلا أننا لا نقصر في قضية الزواج، فترى طلبة العلم

عادة يبدؤون الحياة من الصفر، وهذه حقيقة مهمة، فإن أفراداً قليلين هم الذين وجدوا الحياة مهيئة الظروف بالنسبة للزواج، وإلا فإن الغالبية هم الذين لم تتهيأ لهم الظروف مائة بالمائة، ومع ذلك فهل نعطل الحياة الزوجية ونقتصر على المتمكنين فقط؟

الدكتور: بماذا تنصح شهيد وسعيد يا شيخ؟

الشيخ: (ملتفتاً الى شهيد وسعيد): إني أطلب منكما أن تفكرا من هذه اللحظة في مشروع الزواج، لكي تقرا عيني أمكما، وتعيدا البهجة والسرور لقلبها المنكسر.....ولأن الأرض تشتكي من بول العزاب مع الاعتذار.

ضحك الجميع لقول الشيخ هذا ولأول مرة شوهد سعيد مبتسماً طيلة الحوارية هذه.

الدكتور: ها...ماذا تقولان؟

شهيد: لا أدري ماذا نقول؟

فاهم: سمعت من أحد الفضلاء[1] في الحوزة العلمية الشريفة أنه اقترح عدة حلول لتيسير الزواج حيث يعرض الشخص تزويج أخواته على المؤمنين الأكفاء، وهم يعرضون عليه أخواتهم المؤمنات،

---

(١) هو سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي.

فيتزوج الجميع ولا يبقى أحد معطلاً، ألسنا نسمع ((اخطب لبنتك كما تخطب لابنك))، وقد تمت حالات زواج عديدة مباركة ميمونة بهذا الشكل وأنا مستعد لأن أكلم أختيَ(رباب ورحاب) في موضوع الزواج منكما إن لم يكن لديكما ممانعة في ذلك.

الشيخ والدكتور: بارك الله فيك، هذا من طيب أخلاقك، وصدق التزامك.

كانت الأم قريبة من باب الصالة، وقد وصلت إلى مسامعها هذه الكلمات، فلم تتمالك نفسها من الفرح حتى أرسلت دموعها ـ دموع الفرح هذه المرة - على وجنتيها....

شهيد: سأعرض الأمر على والدتي.

وهنا تبادر الأم من خلف الباب: الرأي رأيكما... يسرني ذلك كثيراً.

الشيخ: الحمد لله... نسأله أن يزوجنا مرة ثانية.

الدكتور: آمين....

أخذ الجميع يضحكون حتى رن جرس الهاتف، فرفع شهيد السماعة وأخذ يتكلم بصوت عال:

ألو..من؟ هل أنا في حلم؟! حبيبتي آمنة...أين أنت يا أختي؟ إننا مشتاقون إليك.......

آمنة: سنأتي لزيارتكم غداً أنا وزوجي خالد بلغ أمي وسعيد بذلك.

شهيد: ماذا تقولين؟!.. لا أصدق!..وكيف وافق خالد على ذلك مع أنه كان يرفض باستمرار.

آمنة: الفضل يعود الى صديقك فاهم، لقد زارنا وأقنعه بذلك.

شهيد: ما أطيبك يا فاهم! نحن بانتظاركم إذاً...مع السلامة.

وضع شهيد السماعة في موضعها وعاد نحو فاهم الذي قام معانقاً شهيد بشدة...ورفع الجميع أكفهم بالدعاء الى الله يسألونه دوام المودة والإيمان.

لم تكد الأم تصدق نفسها وهي تسمع البشرى السعيدة ـ زيارة آمنة لهم غداً - لقد أحست الأم أن البيت تحول الى جنان الخلد تغمره الأنوار من كل صوب...إنها تكلم صورة زوجها: رحمك الله يا جابر لقد ربيت هؤلاء الفتية (الشيخ والدكتور وفاهم) خير تربية... وها هم يردون الجميل لولديك شهيد وسعيد فلك الحمد يا رب العالمين.[١]

(١) هذه الحوارية من كتاب شباب في مقبرة الجنس، طبعة بيروت.

الفصل الثاني:



العزوبة تدفع الشاب
إلى الزنى(الجرم الأكبر)

الزنى من الكبائر والمعاصي الكبيرة كما في القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام، وهو من العوامل الرئيسية التي تدمر الأسر والعوائل والبشرية وتسلخ الأفراد عن الإنسانية وتدخلهم في بحر الرذيلة والعصيان.

ومن هنا جاء التحذير من قبل الله تعالى حيث يقول:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

جاء في تفسير الميزان[(١)]:

((أخذ مواليد الزنى في الازدياد يوماً فيوماً يقطع منابت المودة والرحمة وتعلق قلوب الأولاد بالآباء ويستوجب ذلك انقطاع المودة والرحمة من ناحية الآباء بالنسبة إلى الأولاد يقضي بهجر سنة الازدواج للمجتمع وفيه انقراضهم. وهذا كله

(١) الميزان ص٨٩ .

أيضاً مما يلوح من المجتمعات الغربية)).

وقال صاحب كتاب المراهقة بين المشكلة والحل: وبما أن الزنى رذيلة فاحشة تنتج عنها كل أنواع الدعارة والتفسخ والتحلل فهي إشارة إنذار لدمار المجتمعات وبهذا يجدر الإشارة إلى ما قاله العالم (أوسنلدثتارتس) في كتابه علم النفس الجنسي ص١٠٤، حيث يقول:

(والدعارة بالنسبة للمدنية كالظل بالنسبة إلى الضياء، فكلما ازداد انتشار المدنية ازداد معه انتشار الدعارة وهذا ما يفسر لنا أن الدعارة في زماننا أكثر انتشاراً منها في أي زمن مضى).

ويقول في عبارة أخرى كذلك:(فإذا ما تطورت المدنية أدى ذلك إلى الفصل بين عناصر الحياة المعقدة، فإذا بنا نفصل بين الصورة والمضمون بين القيمة والواقع، بين اللذة والحاجة، بين الروح والجسد، بين الفائدة والعمل، وأخيراً بين الأعمال والأخلاق).

وتدل هذه الأمثلة القليلة التي يمكن الإكثار منها على أن الدعارة ليست سوى تعبير عن ثنائية عقلية المتمدن من الناحية الجنسية.

ويضيف كذلك في قوله على ما نتج عن ذلك:

(إن كل محاولة لمحاربة هذه الآفة الاجتماعية مصيرها إلى الفشل إذا ما اكتفت بالإجراءات القانونية من الناحية الجنسية فقط. ونعلم أن الولايات المتحدة الأميركية أرادت منذ خمسة عشر عاماً تقريباً، تجربة نظام تحريم الدعارة فلم تنجح في محاولاتها، كما لم تنجح المحاولات التي قامت لمحاربة تهريب المخدرات بواسطة القانون أو للقضاء على الحرب بالطرق الدبلوماسية القديمة).

وهنا يقول ويركز:(ونحن بحاجة لثورة روحية لتقويم حياتنا في الناحية الجنسية وفي النواحي الأخرى).

ويضيف قائلاً:(ولا يمكن للثورة الاقتصادية لوحدها أن تنجح في ذلك كما برهنت على ذلك التجربة التي قام بها الروس في مطلع العهد السوفياتي، إذ قام هذا العهد بمحاربة الدعارة على أنها آفة نموذجية من آفات النظام الاقتصادي الرأسمالي.

وإذا كان قد نجح في هذه المحاربة فذلك لسبب غير منتظر وهو أن إحدى مواد البرنامج التي وضعت للتنظيم الاجتماعي تنص على إلغاء الزواج الشرعي، وذلك سعياً وراء تجربة المجتمع كلية فكانت النتيجة المباشرة لذلك أن انحطت الأخلاق الجنسية انحطاطاً ليس له مثيل من قبل أدى بها إلى أشد دروب الإباحية. فأصبحت الدعارة لا فائدة منها بعد أن

أصبحت روسيا بأجمعها بيناً هائلاً لمعطاة الإباحية كما وصفها لينين إلى كلارا زتكين) انتهى.

إن هذا عالم من علمائهم وهناك الكثير ممن صرحوا وأعلنوا بكل صراحة وجرأة عندما تجلت لهم الصورة ومدى خطورة الموقف حتى حددوا مواقفهم بكل صراحة، وهذا الأساس الذي جعلهم يشعرون بمرارته ويستاؤون منه سببه أنفسهم وما جنته أيديهم الخبيثة خاصة عندما يقول هذا العالم في عبارته: (نحن بحاجة لثورة روحية قديمة).

أي بمعنى أنه يستغيث ويصرخ وينادي بالرجوع إلى من أوجده وهو الله سبحانه وإلى شريعته.

كما نستخلص من عبارته أنه يؤكد أن هناك بديل سماوي عبر عنه بالثورة الروحية القديمة بدل حضارته ومدنيته التي أذاقته المر والدمار والانهيار. وهذا دليل واضح على فشل مدنيتهم الزائفة.



أمراض الزنى:

قال في كتابه[1]:

وهنا يجدر بنا الإشارة لما يسببه الزنى في كثير من الأمراض كما يسمونها بالأمراض التناسلية وهي أمراض تنتقل من المريض إلى الصحيح أو الصحي عن طريق الاتصال الجنسي.

وأهم هذه الأمراض الزهري التناسلي والسفلس، والسيلان والقرحة. وهنا نسوق ونبين هذه الأمراض كي يدرك الفرد مدى ما يلحقه من أخطار وأضرار ومهالك حتى على المجتمع ككل.

١- الزهري التناسلي:

تسببه جرثومة لولبية الشكل تنتقل أساساً عن طريق الاتصال الجنسي وأحياناً عن طريق الملامسة.

مراحل المرض:

يمر المرض بمراحل ثلاث وهي:

المرحلة الأولى: بعد أسبوعين إلى أربعة أسابيع من

(١) كتاب المراهقة بين المشكلة والحل.

الإصابة تظهر أعراضها على هيئة قرحة على رأس الذكر عند الرجل أو على الفرج عند المرأة.

المرحلة الثانية: بعد شهرين إلى أربعة شهور يظهر طفح جلدي وبثور، هذا الطفح الجلدي يكون معدياً ويستمر عدة شهور يختفي بعدها بدون علاج.

المرحلة الثالثة: تظهر بعد سنتين إلى عشرين سنة على هيئة تليف وتآكل في أجهزة الجسم مثل الشريان الأورطي أو القلب أو الأعصاب أو الجلد أو العظام.

ويؤدي ذلك إلى مضاعفات خطيرة منها الخلل العقلي والعصبي وانفجار الشريان الأورطي مما قد يؤدي إلى الوفاة وقد تنتقل ميكروبات الزهري من الأم المصابة إلى وليدها عن طريق الحبل السري(الزهري الوراثي). ومن هنا وجب الكشف الطبي على الأم والأب قبل الزواج والكشف الدوري على السيدة الحامل.

الوقاية:

١- التثقيف الصحي.

٢- اتباع قواعد الدين الحنيف في عدم الاتصال الجنسي غير المشروع.

٣- يجب على المصاب أن يبلغ شريكه الذي أخذ منه الإصابة ليتم علاجه وبالتالي تطهر المجتمع من ميكروبات الزهري.

٢- السفلس:

(وهو من أخبث الأمراض وأفتكها، ويسمى بقرد الأمراض وهو يصيب أي عضو في البدن، أو أي نسيج فيه وفي الدور الأول منه تتكون في الجسم قرحة صلبة تسمى بـ(الشفكر).

والدور الثاني إصابة جميع أجزاء الجسم ببقع حمراء، والدور الثالث إصابة الأجهزة الرئيسية من الإنسان.

فقد يصيب الدماغ فتحدث أمراض عقلية كالجنون.

وقد يصيب النخاع الشوكي فيؤثر الشلل.

وقد يصيب القلب والأوعية الدموية فيؤدي إلى أمراض القلب).

٣- السيلان:

(مرض تسببه بكتيريا السيلان، تبدأ أعراضه بعد ٣-٩ أيام من الاتصال الجنسي مع شخص مريض، وتتلخص الأعراض في إفراز صديدي يظهر على فتحة القضيب لدى الذكر خاصة في الصباح إلى جانب حرقان في البول).

وهذا طبعاً من نتائج الزنى وله الكثير من المضاعفات السيئة وكذلك عن القرحة الرخوة كما يذكرها علماء الطب فهي تتكون من قرحة لينة حمراء غير قابلة للشفاء، وتؤثر على الجسم تأثيراً سيئاً.

هذه بعض الأمراض الفتاكة الناتجة من الزنى، وقد أصبحت هذه الأمراض تشكل وباء في كثير من أنحاء العالم

خاصة في الدول المتقدمة التي نست وتناست القيم والمبادئ والأخلاق وابتعدت عن خط السماء.

إن هذه الأمراض تصيب كل الأعمار ولكنها تكثر بين الشباب ما بين الخامسة عشرة والثلاثين خاصة في الدول الصناعية كأوروبا، وأميركا وروسيا، ولربما ترجع هذه الأمراض إلى عوامل من ضمنها تدهور القيم الأخلاقية، وعدم التمسك بالدين بين المصابين، وإلى الفراغ الذي يعاني منه الشباب في هذه الأيام والقلق الذي يحيط بهم مما يجعل الجنس تسليتهم الوحيدة.

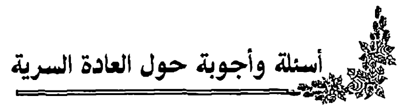
كما يرجع انتشار هذه الأمراض كذلك إلى ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة تكاليف الحياة حيث لا يستطيع معظم الشباب الزواج وتحمل مسؤولياته الكبيرة، فيلجؤون إلى الجنس الرخيص بكل ما فيه من شرور وآثام.

وهذا الانحراف إلى هذه الرذيلة سببه كذلك انعدام الحس الديني، وفساد الأخلاق هذا أهم سبب وعامل فلا عجب بعدئذٍ أن يكون موقف الإسلام من هذه الجريمة الشنيعة موقفاً صارماً وزاجراً حيث يقول:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾[النور: ٢].

مسك الختام:





أسئلة وأجوبة حول العادة السرية

س١/ ما هي العادة السرية باصطلاح الفقهاء؟ وهل تقتصر على نكاح اليد فقط؟

بسمه تعالى: نقصد بها ـ عند الرجال ـ إنزال المني بطريقة غير شرعية، والشخص بصير بنفسه، فيعلم أن هذه الحالة شرعية وهذه لا. ولا تقتصر على الخضخضة باليد، وإن كان يظهر من بعض الفقهاء عدم فهم هذه السعة، إلا أن الآية: ﴿**فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**﴾ مع بعض ما يأتي من الكلام يمكن أن يكون دليلاً على التعميم ويجب الالتفات إلى أن الآية تحرم سائر التصرفات الجنسية خارج الإطار الشرعي سواء للرجل أو النساء.

س٢/ شخص له القدرة على الاسترخاء والإنزال وذلك بتشنج الأعصاب وتقلص العضلات لفترة من الزمن فيحدث الإنزال بشهوة ودفق ماء غليظ من خلال هذه الحالة. فما حكم العملية المزبورة؟ وما حكم الماء النازل؟ وهل تعتبر هذه الحالة نوع من أنواع العادة السرية؟

بسمه تعالى: هي عملية العادة السرية، لكنها ليست باليد

لوضوح أنه قاصد إنزال المني ومتعمد للفعل. وإذا أردت أن تعرف حكمها، فانظر هل تستحي أن يعرف عنك هذا الفعل أم لا ترى بذلك باساً؟ فالأول ممنوع والثاني لا. وبتعبير من المعصومين عليهم السلام:

(لا تفعل في السر ما تخشى ظهوره في العلانية) أعطيك معياراً آخر، مستفاداً من المعصومين عليهم السلام إذا أردت أن تعرف حكم هذا الفعل، فانظر إذا قسمت الأفعال إلى قسمين: حق وباطل ففي أي قسم يكون هذا الفعل؟.. ولا تخادع نفسك.

س٣ / ما علة تحريم الاستمناء؟

بسمه تعالى: ليس من حقنا أن نناقش الشريعة، بل نطبقها بالرضا والتسليم ما دمنا مسلمين: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** وقال تعالى: **﴿وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** نعم قد يكون من المستحسن أن نسعى لفهم فلسفة الأحكام الشرعية والحكمة في تشريعها ولكن يجب التسليم والطاعة أولاً وقبل كل شيء سواء توصلنا إلى نتيجة مرضية أم لا، وليس العكس بأن تتوقف طاعتنا وتطبيق الحكم الشرعي على قناعتنا الزائفة التي تتغير وتتأثر بالأهواء والترعات، فهذا من تحكيم عقولنا وأهوائنا وعواطفنا في شريعة الله الحكيم،

العليم، المحيط بكل شيء علماً، وهذه من مشاكل بعض من يسمون أنفسهم مثقفين، وأضرب لك مثلاً من القوانين الوضيعة: فلا أحد يناقش لماذا كانت الإشارة المروية حمراء يجب التوقف؟

لا يناقش لماذا يفرض القانون العقوبة الكذائية على الفعل الفلاني ما دام ذلك البلد وخاضعاً لقوانينه. وهكذا الإسلام فما دام الفرد منتسباً له فلا يناقش في أحكامه، وإلا فليكن واضحاً، وليخرج عن الإسلام قبحه الله وهذه فكرة مهمة أحببت إيصالها بهذه المناسبة.

س٤/ هل يجوز استمناء الزوج بيد زوجته؟ وما الفرق بينه وبين الإمناء بدون الزوجة؟

بسمه تعالى: لا بأس بأن تمارس الزوجة لزوجها عملية الخضخضة، أو أي فعل آخر لإنزال المني، لجواز كل الاستمتاعات الجنسية بين الزوجين والفرق بينهما هو الفرق بين الحلال والحرام.

س٥/ ما حكم هذه العملية:

أن يستلقي الفرد على وجهة بطنه عند النوم (نوم الشيطان) بحيث يداعب قضيبه الأرض فيحدث الإنزال بدفق وشهوة وفتور؟

بسمه تعالى: هي من أشكال العادة السرية لانطباق التعريف السابق عليها.

س٦/ على فرض بسط وإنشاء الحكم الإسلامي بين الناس فما حكم المستمني؟ وإذا لم يكن الحاكم الشرعي مبسوط اليد، فماذا يعمل المستمني مع نفسه بعد التوبة؟

بسمه تعالى: على المستمني التعزير بمعنى جلده عدداً من الأسواط يكفي لردعه ويناقش في أسباب لجوئه إلى العادة السرية، فإن كانت حاجته إلى الزواج زوجه الحاكم الشرعي من بيت المال.. وأما التوبة الصادقة فتكون بالإقلاع عن هذا الفعل وعقد العزم على عدم العودة إليه: وتجنب المثيرات الجنسية، كأماكن الاختلاط واستماع الأغاني ومشاهدة المسلسلات وغيرها.

س٧/ شخص متزوج، شهوته متغلبة عليه، وزوجته ذات شهوة ضعيفة ((تتصف بالبرود الجنسي)).. فبدأ هذا الزوج ممارسة العادة السرية بين الحين والآخر، فما حكمه؟

بسمه تعالى: لتمارس الزوجة له العادة السرية بيدها، فإنه من الاستمتاعات الجنسية المسموحة، وليس من حق الزوجة أن تمتنع عن أي استمتاع جنسي يريده الرجل منها إلا في حالات الضرر والحرج وعلى أي حال فإن الزوجة العفيفة تستطيع تصريف شهوة زوجها بما لا يضر بحالها.

س٨/ طلب طبيب عينة من نطفة مريض غير متزوج، لغرض إجراء الفحوصات الطبية فهل يجوز لهذا المريض ممارسة الاستمناء؟

بسمه تعالى: إذا طلب ضرورة العلاج ذلك فلا بأس بالفعل بمقدار الضرورة.

س٩/ الآية السابقة من سورة ((المؤمنون)) تقول: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾، هل هذه الآية تشمل عملية الإمناء؟ فقد يقال بان هذه الآية جاءت في سياق ذكر الزواج، فهي تتعرض لعملية الزنى، فما هو رأيكم؟

بسمه تعالى: آية شاملة لكل ما وراء العمليات الشرعية، أي التي أذن بها الشارع أو رخص فيها، ونزول الآية في مورد لا يخصصها لذلك المورد ما دامت الآية عامة في نفسها وهذا من معاني خلود القرآن. ولو قصرنا كل آية على مورد معين لانتهى مفعول القرآن الكريم بانتها مناسبات نزوله، وهذا خطأ فادح.

س١٠/ يقول البعض إن الأضرار النفسية والعضوية للعادة السرية غير ثابتة كما جاء في أحد الكتب الطبية فما رأيكم؟

بسمه تعالى: يكون الجواب ضمن عدة نقاط:

الأولى: قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا جداءكم فاسق بنبأ فسيبنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلم نادمين﴾** وكثير من المؤلفين في هذه الحقول العلمية غير

ملتزمين دينياً فلا يؤتمنون في مثل هذه المجالات التي لها دخل في الأخلاق والشريعة والاجتماع خصوصاً وأن كثيراً منهم متأثرون بالمدرسة الغربية في علمي النفس والاجتماع ومنبهرون ومقلدون لها بحيث إن عندهم الاستعداد الكافي لمخالفة الشريعة من أجل دعم تلك المدارس.

الثانية: إن الطب من العلوم التجريبية وتتضارب فيه الآراء كثيراً وقد نقل لي أحد الأطباء المختصين إن ثلاث عشرة ألف رسالة طبية تنشر يومياً عبر شبكة الأنترنت تتضارب فيها الآراء والنتائج ولا يثبت منها شيء إلا بعد تدقيق وتمحيص طويلين ومحل الشاهد أن أي رأي طبي ومنه أضرار الاستمناء المتعددة يمكن أن يوجد من يعارضه وإن كان ثابتاً بدرجة معتد بها.

الثالثة: إن حرمة الاستمناء بعد أن ثبتت بالشريعة ودلت عليها النصوص فلا يؤثر فيها وصول العقل البشري إلى علة ذلك الحكم والمصلحة فيه أو عدم وصوله فإن الإيمان والتسليم بالشريعة مطلق ﴿**فلا وربك لا يؤمنون...**﴾. وإن كنا نعتقد أن وراء كل حكم شرعي مصلحة واقعة هي ملاك الحكم وعلته.

س١١/ قد يمر الشباب بموقف مهيج للشهوة الجنسية بحيث يكون من الحرج الشديد عليه عدم التنفيس عن شهوته بالاستمناء لعدم وجود زوجة عنده؟ فما حكمه؟

بسمه تعالى: صحيح إن التكاليف الشرعية تسقط في حالات الحرج والضيق النفسي الشديد لقوله تعالى: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾. وفي حالات الضرر لقولهﷺ((لا ضرر ولا ضرار)) وحالات عدم القدرة لقوله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ إلا أن ذلك لا يعفيه من المسؤولية والعقاب إذا كان ذلك الموقف قد حصل بسوء اختياره وإرادته أي أنه هو الذي أوقع نفسه في ذلك الحرج بمشاهدته لفيلم جنسي أو صورة خليعة أو تواجد في مكان اختلاط فاحش لأن المعروف عن الشهوة الجنسية أنها لا تثار الا بمؤثرات خارجية ومهيجات وليست هي كشهوة الطعام المنبعثة من داخل الإنسان لحاجة الجسم إلى الغذاء والطاقة. ولذا اشتهرت كلمة عند العلماء وهي(إن الامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار) أي إن تعذر امتثال الحكم الشرعي والامتناع لعسر أو ضرر ما دام قد حصل باختيار الفرد فإن هذا الامتناع لا ينافي نسبة الفعل إلى الفاعل لأنه كان بإرادته واختياره.

س١٢/ بماذا تنصحون الشباب الجامح الذي يرتكب هذه العملية؟

بسمه تعالى: أنا لا أتفق معك في إساءة وصف هؤلاء الشباب، فإنهم طيبون وقريبون إلى الإيمان، ولو كانوا سيئين لارتكبوا الفواحش علناً ولتجاهروا بها بدلاً من جعلها سرية،

فنفس شعورهم(بأن فعلهم هذا خطأ يجب التستر عليه)

يعتبر خطوة نحو الإصلاح والارتداع عن المنكر ولا يقع اللوم كله عليهم فبعضه يقع على أولياء أمورهم الذين لم يربوهم التربية الصحيحة ويثقفونهم الثقافة الدينية الأخلاقية وبعض اللوم يقع على وسائل الإفساد وإشاعة الفاحشة التي تملأ سمعه وبصره وعقله وقلبه ولا يجد مفراً منها، وبعض اللوم يقع على البيئة الفاسدة التي يعيش فيها حيث انتشر المنكر والانحراف والانحلال الخلقي في كل أنحائها، بحيث أصبح الكثيرون لا يرون المنكر منكراً لتطبعها عليه، ويقع بعضه على أصدقاء السوء الذين يزينون المعصية ويحسنونها بعين الشخص حتى يقع معهم في الهاوية فيتلذذون بسقوطه لأن بقاءه على الاستقامة والحياة النظيفة يكشف زيفهم ودناءتهم وخستهم، كل هذه العوامل تجتمع لتؤدي هذه النتائج السيئة، وأي علاج لابد أن يتناول جميع الأسباب، وقد قلت في ((شكوى القرآن)) إن الطبيب الحاذق هو من يشخص بدقة العلة الحقيقية وراء الأعراض المريضة التي هي معلولات لها، فيزيل العلة من أساسها وليس من الحكمة أن يعالج الأعراض ويترك العلة الأساسية لكن المؤمن الواعي المخلص الذي يستمد باستمرار العون والتسديد والعصمة من الله تعالى يقاوم كل هذه العلل ويقف بشموخ في وجهها حتى قال الحديث الشريف ((إن

إيمان المؤمن أقوى من الجبل لأن الجبل يستقل منه بالمعاول ولا يستقل من إيمان لمؤمن شيء)) فهذا هو العلاج الرئيسي: ذكر الله تعالى دائماً، وخشيته، وتذكر عقوبته، والحياء منه، وتخيّل أن الموت لو أتاك وأنت تمارس العادة السرية والموت يأتي فجأة فماذا سيكون حالك وأنت تلقى الله على هذه الحال؟ ومن الحلول المهمة أيضاً تجنب ما يثير الشهوة الجنسية في كل الاتجاهات من صحف ومجلات وأفلام ومسلسلات وغيرها. . .، والاشتغال بمتطلبات الحياة كالكسب ولقاء الإخوة المؤمنين وقراءة الكتب والمجلات الهادفة والاستماع إلى نشرات الأخبار والبرامج المفيدة، وقد ناقشت هذا الأمر في محاضرات وكتاب ((الحوزة وقضايا الشباب)) وقلت إنهم يسمونها مشكلة جنسية وهي ليست مشكلة بل رحمة إلهية ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها بينكم مودة ورحمة. . .)) لكنهم حين عرضوها بصورتها الحيوانية فقط، وعملوا على استثارتها بكل وسيلة، ثم وضعوا العراقيل أمام الأسباب المشروعة لالتقاء الجنسين أصبحت مشكلة، وحولوها من نعمة إلى نقمة، أقول هذا الكلام باختصار راجياً من الله تعالى أن ينتفع به الصادقون، وأن يوفر لي فرصة أخرى للحديث بشكل واسع عن هذه المشكلة[1].

---

(١) مجمع الحوار والفتاوى ـ مخطوط.

قصة لها معنى:

حكي أن رجلاً سقاء بمدينة بخارى كان يحمل الماء إلى دار صائغ مدة ثلاثين سنة، وكان لذلك الصائغ زوجة صالحة في نهاية الحسن والبهاء، فجاء السقاء يوماً على عادته وأخذ بيدها وعرها - أي مسها بشهوة - فلما جاء زوجها من السوق قالت: ما فعلت اليوم خلاف رضا الله تعالى؟

فقال: ما صنعت شيئاً، فألحت عليه.

فقال: جاءت امرأة إلى دكاني وكان عندي سوار فوضعته في ساعدها فأعجبني بياضها فعصرتها.

فقالت: الله أكبر هذه حكمة خيانة السقاء اليوم.

فقال الصائغ: أيتها المرأة إني تبت فاجعليني في حل فلما كان الغد جاء السقاء وقال يا صاحبة المنزل اجعليني في حل فإن الشيطان قد أضلني.

فقالت امض فإن الخطأ لم يكن إلا من الشيخ الذي في الدكان، فإنه لما غير حاله مع الله بمس الأجنبية غير الله حاله معه بمس الأجنبي زوجته.

الفهرس

الفصل الثاني:

مسك الختام: